الفصل الثالث

عصر الشيخ أحمد عمر هاشم

وأثره فى تكوينه من ١٣٦٠هـ/١٩٤١١٨م إلى وقت الفراغ من كتابة الرسالة فى ٢٧ شعبان ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢/٧/١٧م

ويشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحالة السياسية.

المبحث الثانى: الحالة الدينية.

المبحث الثالث: الحالة الإعلامية.

تمهيد:

وقد جرت عادة الباحثين فى مثل هذا الموضوع بالكلام على البيئة التى نشأ فيها الشخص موضوع الدراسة من حيث الحالة الاجتماعية، والسياسية، والدينية، والعلمية، والاقتصادية، وقد آثارت أن أغض الطرف عن الحالة الاقتصادية والاجتماعية والعلمية اكتفاءً بما ذكره الأخوة الباحثون من قبل، وأحيل فى هذا الشأن على الباحث الأخ/ عزت السيد إبراهيم حماد.

المبحث الأول

الحالة السياسية

كلمة السياسة: مشتقة من من مادة (سَوَسَ)، ويقال: ساس الناس سياسة: أى تولى سياستهم وقيادتهم. وساس الأمور: دبرها وقام بإصلاحها. وهى تعنى: ولاية شئون الرعية وتدبير أمورها[1].

وجاء فى السنة النبوية:" كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبى خلفه نبى، وإنه لا نبى بعدى...[2].

---

(١) المحجم الوجيز ـ مجمع اللغة العربية ـ باب السين مادة (ساس) صـ ٣٢٨ طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم لعام ١٤١٦هـ/١٩٩٥م، ولسان العرب لابن منظور ـ باب السين ـ مادة سوس جـ٣ صـ ٢١٤٩ دار المعارف.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب الإمارة باب (وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول). المجلد الرابع جـ١٢ صـ ٢٢٢. والحديث عن أبى هريرة برقم (١٨٤٢).

"وتنقسم الحياة السياسية إلى شقين، شق داخل الدولة وحدودها وهو علاقة تلك الدولة بمواطنيها من خلال قانون ودستور يحدد تلك العلاقة. وكذلك الأهداف الرئيسة لسياسة تلك الدولة الخارجية مثل حماية السيادة الإقليمية ودعم الأمن القومى وتنمية مقدرات تلك الدولة من القوة والثروة أو نشر أيدلوجيات تلك الدولة وثقافتها فى الخارج[1].

" أما الشق الثانى للحياة السياسية فهو انخراط تلك الدولة ذاتها داخل تنظيم دولى يضم العالم أجمع ممثلا فى الأمم المتحدة التى كانت الثمرة الأخيرة للعديد من محاولات لم الشمل العالمى فى أسرة دولية واحدة. ومن خلال الأمم المتحدة وبمقدار قوة كل دولة يتم التحكم فى الحياة السياسية الدولية فى شتى أنحاء العالم[2].

والحالة السياسية هى:" عالم قوى المجتمع الوطنية الرسمية واللا رسمية دون ما تمييز، وهى تتفاعل فيما بينها تفاعلا يكون من شأنه تحقيق حالة الاتزان له "[3].

وللحياة السياسية دور بارز، وأثر فعال فى توجيه أنماط الحياة، إذ أنها تؤثر فيها سلبا وإيجابا، قوة وضعفا.....

---

(١) العلاقات السياسة الدولية ـ دراسة فى الأصول والنظريات ـ، إسماعيل صبرى مقلد صـ١٣٠: ١٣٩ بتصرف، ط ذات السلاسل، الكويت. ١٩٨٨م.

(٢) المنظمات الدولية، أ / د: مفيد محمود شهاب. صـ ١٧: ٢١ دار النهضة العربية. القاهرة، ط العاشرة.

(٣) النظم والحياة السياسية د/ محمد طه بدوى صـ ٢١٩ مطبعة كلية التجارة، جامعة الأسكندرية ٢٠٠٢م.

وقد شهدت الحياة السياسية فى مصر والعالم العربى فى بداية القرن العشرين تحولات وانقلابات عديدة، ترتب عليها تغير ملحوظ فى شتى مناحى الحياة، فانقلبت الأمة من كبوة إلى كبوة، ولاحقتها الخطوب، وتوالت عليها الأحداث العصيبة والفترات الحالكة.

ومن هذه النكبات وقوع أغلب العالم الإسلامى تحت سيطرة الاستعمار الأجنبى، والقضاء على الخلافة الإسلامية على يد "مصطفى كمال أتاتورك" فى تركيا، حيث كان لهذا الحدث أثره البالغ فى نفوس المسلمين جميعا.

وإذا ما تصفحنا التاريخ العربى والإسلامى فى الفترة التى شهدت ميلاد شيخنا المحدث الدكتور أحمد عمر هاشم منذ عام ١٩٤١م، وحتى الآن، نجد أن الأحداث تضافرت، والخطوب قد عظمت، حيث اجتاح العالم حرب دامية، شملت هذه الحرب أغلب أجزاء العالم، وسميت بالحرب العالمية الثانية، وقد "بدأت سنة ١٩٣٩م واستمرت حتى سنة ١٩٤٥م"[(١)].

وقد شهدت مصر جزء من ويلات هذه الحرب التى قضت على كل شيء مليات القتالية بين الدول المتحاربة، وهذا الأمر كان له أثره البالغ على أهل مصر جميعا وخاصة السياسيين منهم.

ولم تبرأ الأمة من جروح هذه الحرب إلا وأصيبت بنزيف حرب فلسطين سنة

(١) مصر فى الحرب العالمية الثانية، أ/ عاصم الدسوقى ـ صـ ٩ دار نافع ط ١٩٧٦م. بتصرف.

١٩٤٨م بين العرب واليهود[١]، هذه الحرب التى كشفت ـ للعرب عامة والمسلمين خاصة ـ مدى ضعف قوتهم وانهيار عزيمتهم، وسوء إدارة حكامهم، من خلال اشتراك بعضهم فى صفقة الأسلحة الفاسدة.

وبذلك استمر مؤشر الأحداث فى الهبوط، ليخيم الظلام على أرجاء البقعة العربية والإسلامية قاطبة، وأمسى العالم العربى بأسره لقمة سائغة يقتسمها الخصوم الألداء.

وأما بالنسبة لمصر فلقد مرت بسلسلة من الأحداث المريرة على مر التاريخ، وفى فترة ميلاد شيخنا المحدث الدكتور أحمد عمر هاشم كان يعتلى الحكم " الملك فاروق"[٢]، الذى تولى حكم مصر منذ سنة ١٩٣٧م.

وكان الملك لا يعبأ بأحوال البلاد، ولا بشئون رعيته، وانشغل بصراعاته مع رجال السياسة والوفديين، فقد " كان الملك على خلاف دائم مع الوفد، يرجع ذلك إلى العداء التقليدى بين القصر وبين حزب جماهيرى وطنى ينادى دائما ـ ومن مصلحته ـ أن تكون الأمة مصدر السلطات، وكان للطريقة التى فرضت بها حكومة الوفد على القصر ـ فى ٤فبراير ١٩٤٢م أثرها، لا فى تفاقم هذا العداء فقط، ولكن فى إدراك القصر لما يمكن أن ينجم

---

(١) حرب بلا بنادق أخطر مواجهة بين العرب وإسرائيل ـ أنور محمد ـ صـ ٥٤٤. دار " إيه ـ إم " للنشر والتوزيع. بتصرف.

(٢) ولد الملك فاروق فى فبراير١٩٢٠م، وهو ابن الملك فؤاد من زوجته الملكة (نازلى)، وتولى حكم مصر سنة ١٩٣٧م عمر يناهز ١٨ عاما فى ذلك الوقت، ومرت البلاد فى عهده بفترة من أسوء الفترات، مما أدى إلى الإطاحة به فى ١٩٥٢/٦/٢٣م (انظر ـ مقدمات ثورة يوليو ـ ١٩٥٢ـ عبد الرحمن الرافعى ٢١٤، ١٧٦ ط ٣ دار المعارف ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

من خطر شديد على نفوذه من جراء سياسة تؤيد بها بريطانيا الوفد ذى العداء التقليدى للملك"[1].

الأمر الذى جعل الملك يفكر فى كيفية التخلص من هؤلاء الوفديين، فعمل على إنقاص عددهم داخل مجلس النواب ؛ حتى لا يشكلوا الوزارة.

" وكان مجموع مقاعد مجلس النواب (٢٦٤) مقعدا، وأسفرت الانتخابات عن فوزه (١٢٥) نائبا من السعديين، (٧٤) من الدستوريين، (٢٩) من الكتلة، (٧) من الحزب الوطنى، و (٢٩) من المستقلين، فظفر الحزب السعدى بأغلبية نسبية دون الأغلبية المطلقة ببضعة مقاعد، وتحقق له عدد واف من المقاعد، ولكنه لا يصل إلى ما يمكنه من تشكيل الوزارة منفردا، وذلك طبقا لخطة الملك"[2].

وعاش المجتمع المصرى فترة قلق واضطراب، تلك الفترة التى يصورها الشيخ محمد الغزالى بقوله:" وحدث فى أيامنا هذه أن دخلت مصر فى فترة حالكة من تاريخها. إذ طغى عليها فرعونها الغِر " فاروق "، ونشر المفاسد فى طول البلاد وعرضها، وذل الأحرار من بنيها، وعد نفسه إلها على أرض يخدمه عبيدها، وتسخر له خيراتها، وتشبع شهوته المسعورة رجالها ونساؤها"[3].

---

(١) الحركة السياسية فى مصر ١٩٤٥،١٩٥٢ م طارق البشرى صـ١٧ مطابع الشروق ط الثانية ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٢) السابق صـ ١٩.

(٣) فى موكب الدعوة الشيخ محمد الغزالى صـ ٤٢ دار الكتب الحديثة ط الثالثة ١٩٦٥م.

وهذه الإشارة تدل على مدى الظلم الذى وقع على أهل البلاد من حكم " فاروق " وأنه كان يبيع كل شيء من أجل شهوته ونزواته.

وكان " الاحتلال البريطانى لا يزال جاثما على البلاد، وقد زادت قوته أثناء الحرب وانتشرت معسكراته فى المدن والموانى وعلى ضفافى القناة "[1].

هذا الاحتلال الذى حاول إضعاف الروح المعنوية لدى الأفراد ؛ حتى لا يتمكن الشعب من مقاومته، فقد " اغتصبت أموالهم وحرموا جنى ثمارهم، وسنت القوانين لإجبارهم على تقديم ما يحتاجه جيش الاحتلال من أقوات، ومن يقعده العجز عن ذلك تعرض لأقصى العقوبات، ولا يجد مستمعا لشكواه إن اشتكى"[2].

ومما يؤسف له أن بعض المصريين كانوا يساندون هذا المحتل الغاشم ضد أبناء شعبه، ومن ذلك ما حدث فى " كفر البرامون " فى فبراير ١٩٤٨م، إذ كان زمام البلد نحو (٧٥٠) فدانا، يسكنها نحو (٣٠٠٠) فلاحا لا يملكون إلا (١٢) فدانا، والباقى يملكه تفتيش "أميروف" الذى كان يرفض تأجير الأرض للفلاحين، ويستأجر قوة عملهم بأجر لا يزيد عن خمسة قروش يوميا للعامل فى حين كان متوسط الأجر فى البلاد المجاورة ثمانية قروش، وكان العمدة يمنع أيا من سكان البلدة من الخروج منها للعمل سعيا وراء الأجر الأعلى"[3].

---

(١) الحركة السياسية فى مصر ـ طارق البشرى صـ٧.

(٢) ثورة ١٩١٩م ا/عبد الرحمن الرافعى صـ١١،١٦ دار المعارف. بتصرف.

(٣) الحركة السياسية فى مصر ـ طارق البشرى صـ٢٢٣

وفى السنة نفسها ١٩٤٨م، خيم على العالم العربى والإسلامى قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين بين العرب واليهود " فقد أصدرت الأمم المتحدة سنة ١٩٤٨م قرار رقم (١٨١) بتقسيم فلسطين إلى دولتين:

دولة فلسطينية، دولة يهودية، وتبقى القدس مدينة دولية، إلا أن العرب رفضوا قرار التقسيم، فقامت الحرب بين الجيوش العربية واليهود سنة ١٩٤٨م"[١].

كل هذه الأمور أدت إلى غليان داخل الشعب المصرى، فقد " كانت المشاكل الاقتصادية التى تواجه الحكومة قد بلغت حدا من العنف والاحتدام بعيدا. ارتفاع الأسعار وانخفاض مستوى المعيشة وسوء الأوضاع الاقتصادية، ثم الفساد الذى استشرى، واندفاع الملك والحاشية فى مسلكهم المعيب لا يجمح من جماحهم أحد"[٢].

وكان حريق القاهرة[٣] هو الحد الفاصل بين تحرك قوة الجيش الذى كان يغلى من كل الأوضاع السابقة، وأدرك رجاله أنه لا أمل فى أى مفاوضات مع قوات الاحتلال.

" وكان التجاوب بين الجيش والشعب قد تأصل منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية، وعلى الرغم من أن الشعب لم يشارك فى حرب ١٩٤٨م، إلا أنه تأثر بنتائجها، وخاصة بصفقة

---

(١) حرب بلا بنادق ـ أنور محمد صـ ٥٤٠.

(٢) الحركة السياسة فى مصر ـ طارق البشرى ـ صـ ٤٧٨.

(٣) كان فى ٢٦يناير ١٩٥٢م ـ وغير معروف على وجه اليقين القوة المحركة وراء هذا الحدث المفجع، وقد نتج عنه خسائر جسيمة فى الأرواح والممتلكات. أنظر المجمل فى تاريخ مصر، د/ ناصر الأنصارى صـ ٢٣٧.

الأسلحة الفاسدة التى عانى منها الجيش، وعلى الرغم من أن الجيش لم يستطع المشاركة مع طلبة الجامعات الفدائيين وقوات البوليس فى معارك القناة سنة ١٩٥١م و ١٩٥٢م، فإنه كان متجاوبا مع الشعب فى أهدافه وفى كفاحه، خاصة بعدما كشفت له حرب فلسطين (١٩٤٨م) ما كان يجرى من خيانة ورشوة وفساد فى إدارة الجيش، فكون بعض الضباط المتحمسين، جماعة منهم أطلقوا عليها اسم الضباط الأحرار، جعلوا هدفهم إنقاذ البلاد بواسطة الجيش والشعب من الانهيار"[١].

هؤلاء النفر وضعوا نصب أعينهم هدفهم فى تحرير البلاد من ذلك المحتل، وأنه لا أمل فى هذا التحرير إلا من خلال القوة العسكرية.

وفى" فجر ٢٣ يوليو ١٩٥٢م أعلن البشير (البكباشى محمد أنور السادات)[٢]، قيام الثورة، فالتف الشعب حول الجيش، وأصبحت البلاد كلها مؤازرة ومؤيدة للانطلاق المرتقب"[٣].

هذا الالتفاف هو أمر طبيعى على تلك الحياة القاسية التى كان يعانيها الناس من ويلات الطبقية التى كانوا يعيشون فى ظلها.

---

(١)السابق صـ٢٣٨

(٢) " محمد أنور السادات " من مواليد محافظة المنوفية، تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٣٨م، عمل ضابطا بالجيش المصرى، وهو أحد أعضاء ثورة يوليو ١٩٥٢م، وانتخب رئيسا للجمهورية فى أكتوبر ١٩٧١م، وقاد معركة العبور ١٩٧٣م، وحصل على جائزة " نوبل " للسلام ١٩٧٨م، واغتيل فى ١٩٨١/١٠/٦م. (انظر موسوعة حكام مصر صـ١٣ مطابع الأهرام. بدون).

(٣) الفجر الأبيض ٢٣يولية ـ عبد المنعم شميس صـ ٦ الدار القومية للطباعة والنشر.

وكانت أهم أهداف الثورة هى " تطهير الجيش، وتطهير البلاد من الرشوة والفساد، وعدم استقرار الحكم، ورفع لواء الدستور، وطرد الاستعمار الإنجليزى الذى ظل جاثما على صدر البلاد أكثر من سبعين عاما"[١].

ولم يكن الحكم فى الفترة التى تلى حريق القاهرة وقيام الثورة مستقرا، ففى هذه الفترة الوجيزة والتى تبدأ من ٢٧يناير ١٩٥٢م إلى ٢٣ يوليو ١٩٥٢م. " تعاقبت على مصر أربع وزارات برئاسة " على ماهر باشا " ٢٧ يناير، ثم أحمد نجيب الهلالى أول مارس ثم حسين سرى باشا ٢ يوليو، ثم الهلالى باشا مرة أخرى ٢٢ يوليو "[٢].

وكان من أهداف الثورة القضاء على الإقطاع والإقطاعيين، وإعادة توزيع الأراضى على مستحقيها الأصليين، وهم الفلاحون من أبناء هذا الوطن.

وقد آتت الثورة ثمارها المرجوة التى قد اتفق عليها مسبقا بين الضباط الأحرار، " فتم عزل الملك فاروق وألغى الحكم الملكى، وأعلنت الجمهورية فى ١٨يونيو ١٩٥٣م، وعين اللواء محمد نجيب[٣] أول رئيسا للجمهورية"[١].

---

(١) التنظيمات السرية لثورة ٢٣ يوليو ـ جمال سليم ـ صـ ١٩، ٢٠ بتصرف، مكتبة مدبولى بالقاهرة.

(٢) المجمل فى تاريخ مصر، د/ ناصر الأنصارى صـ٢٣٩.

(٣) " محمد نجيب " ولد فى الخرطوم فى ٢ من ذى القعدة ١٣١٨هـ/١٩٠١م تخرج فى المدرسة الحربية بالقاهرة ١٣٣٥هـ وحصل على إجازة الحقوق ١٣٤٦هـ توفى فى ٢٨ أغسطس ١٩٨٤م (مذكرات محمد نجيب ـ كنت رئيسا لمصر ـ صـ٩ وما بعدها ـ المكتب المصرى الحديث، مطابع الأهرام التجارية بالقاهرة، موسوعة التاريخ الإسلامى ٥/٥٤٢ـ د/ أحمد شلبى مكتبة النهضة بالقاهرة

وبذلك انتقل المجتمع المصرى من عهد " الملكية " إلى عهد " الجمهورية"، وتم توزيع الأراضى على الفلاحين وذلك من خلال قانون عرف بـ " قانون الإصلاح الزراعى".

وكان هذا فى " عهد الرئيس محمد نجيب "، الذى قضى بتحديد الملكية الزراعية.

وكان ـ ولا يزال ـ المحتل الغاشم يحتل البلاد، فعمل قادة الثورة على إجلاء هذا العدو، وما أن تنحى الرئيس " محمد نجيب " عن الحكم فى نوفمبر ١٩٥٤م، تولى بعده الرئيس " جمال عبد الناصر"[٢]. فاستكمل سلسلة الإنجازات التى تمت فى عهد الثورة، وقام بتوقيع " اتفاقية الجلاء " فى ٢٧يوليو ١٩٥٤م، والتى على إثرها تم جلاء جنود الاحتلال البريطانى عن الأراضى المصرية نهائيا"[٣].

وشهدت فترة الرئيس " جمال عبد الناصر " إنجازات خطيرة فى مجالات الحياة المصرية، حيث شيدت نهضة صناعية بهرت العيون، تتمثل فى المصانع الكبرى للغزل والنسيج، ومصانع الحديد والصلب، وغيرها.

ط السابقة ١٩٨٦م.

(١) المجمل فى تاريخ مصر د/ ناصر الأنصارى صـ ٢٥٧.

(٢) هو جمال عبد الناصر بن حسين بن خليل بن سلطان بن عبد الناصر ولد فى قرية " بنى مر " بمحافظة أسيوط ١٣٣٦هـ/ ١٩١٨م عين ضابطا بسلاح المشاة بأسيوط، واشترك فى حرب فلسطين ١٩٤٨ حكم مصر لمدة ١٨ سنة ١٣٩٠هـ/ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠م (الموسوعة العلمية الميسرة محمد شفيق غربال صـ٦٤١، دار القلم مؤسسة فرنكلين ١٩٦٥م، والأعلام ـ فخر الدين الزركلى صـ٩ نوفمبر١٩٩٠م، دار العلم للملايين (بيروت ـ لبنان) جـ٢ صـ ١٣٤، ١٣٥.

(٣) المجمل فى تاريخ مصر د/ ناصر الأنصارى صـ٢٦٤ بتصرف. وانظر: ثورة ٢٣ يوليو١٩٥٢م. نعيم عبد الرحمن الرافعى صـ ١٧٩.

وشرع الرئيس " جمال عبد الناصر " فى الإعداد لمشروع " السد العالى "، وهو صرح اقتصادى خطير، حيث يتم عن طريقه تخزين مياه النيل، والتحكم فيها، وهو أحد الموارد الهامة للطاقة الكهربائية داخل مصر. " وقد رفضت الولايات المتحدة وبريطانيا تمويل مشروع السد العالى من خلال البنك الدولى، فأعلن الرئيس " جمال عبد الناصر " قراره التاريخى رقم (٢٨٥) لسنة ١٩٥٦م، فى مساء يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٦ بتأميم شركة قناة السويس كشركة مساهمة مصرية"[١].

وقد أضاف هذا موردا عظيما لموارد الدولة، إلا أنه أثار سخط الدول الغربية وخاصة إنجلترا وفرنسا لأنهما كانتا تسيطران علي موارد قناة السويس و بإعلان قرار التأميم " شكل ضربة كبيرة للمصالح الاقتصادية البريطانية وكانت فرنسا من جهتها منزعجة من الدعم للثورة الجزائرية ضدها كما انزعج الكيان الإسرائيلي من دعم مصر للعمليات الفدائية الفلسطينية و تعطيلها للمصالح الإسرائيلية في المناطق العربية"[٢].

الأمر الذى أدى إلى أن تقوم الدول الثلاث بتقويض حركة الثورة فشنت كل من" إسرائيل وبريطانيا وفرنسا هجوما ضاريا على مصر فى مساء الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦م وهو ما عرف بالعدوان الثلاثى، إلا أن هذا العدوان لم يدم طويلا، فقد انسحبت الدول

---

(١) ثورة يوليو ١٩٥٢م ـ للرافعى ـ صـ٢٢٢ وما بعدها ـ بتصرف ـ، وانظر: المجمل فى تاريخ مصر ـ صـ ٢٦٤.

(٢) فلسطين ـ دراسات منهجية فى القضية الفلسطينية ـ د/ محسن محمد صالح صـ ٢٩٧ ط الأولى ١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م ـ مركز الإعلام العربى ـ بتصرف.

الثلاث بسبب الضغوط السياسية العالمية، وتم جلاؤها نهائيا فى ٢٣ ديسمبر ١٩٥٦م"[١].

وبهذا الانسحاب الذى اعتبره الناس نصرا. ازداد حب الشعب لرجال الثورة، وأصبحت قناة السويس أهم موارد الدولة، وتم إنشاء " السد العالى " فى صعيد مصر.

وقد اهتم المصريون وقائدهم المظفر بالوحدة العربية، وحرصوا على استقلال الدول العربية من براثن المحتل الغاشم، وبذلك فقد استمرت مصر فى طريقها نحو النهضة والتقدم والحرية، وظلت تؤازر الدول العربية فى تحقيق استقلالها، كما ظلت تنادى بحتمية الوحدة العربية للتصدى للقوات الأجنبية.

وتصديقا لهذا " أعلنت مصر ـ وسوريا " الوحدة " بينهما فى أول فبراير ١٩٥٨، وسميت بـ " الجمهورية العربية المتحدة"[٢].

ويعد هذا الحدث من الأحداث التى تهم الدعاة، لأنه نوع من الترابط القائم بين الأخوة العرب المسلمين، وهو دعوة عملية إلى تطبيق الاتحاد الذى أمر الله ـ عز وجل ـ به فى محكم التنزيل فى آيات كثيرة منها قوله تعالى: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)[٣] وقوله تعالى: (وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا)[٤].

---

(١) المجمل فى تاريخ مصر ـ د/ ناصر الأنصارى ـ صـ ٢٦٥ ـ بتصرف يسير.

(٢) ثورة يوليو ١٩٥٢م ـ للرافعى ـ صـ ٣٣٢ وما بعدها.، وانظر: فلسطين.. د/ محسن محمد صالح صـ ٣٠٠.

(٣) سورة آل عمران من الآية (١٠٣).

(٤) سورة آل عمران من الآية (١٠٥).

ولقد كان شيخنا المحدث الدكتور أحمد يعتلى المنبر في تلك الفترة، ومنا ثم فقد تأثر بأحداثها الوطنية، ودعا إليها من خلال خطبه التى كان يلقبها بين الناس وكانت تلاقى منهم إقبالاً كبيراً، لما يتمتع به من أسلوب سهل جذاب والذى دفعنى على هذا القول تفاعل فضيلته مع هزيمة ١٩٦٧، فعبر عن تأثره بهذه الهزيمة في بعض أشعاره قائلا:

مرت النكسة التى محتنا ... والسنى في الدنا معنى ومرق
بات الضوء تائه اللحن واه ... فجره حائر النوافذ مغلق
جامد يرقب الخلاص بين ... تتحدى الإعصار في كل مزلق
فحرام يرى سناه عدو ... مطفىء للضياء باغ، وأخرق[1]

وإذا كان شيخنا المحدث قد عبر عن تفاعله بهذا الحدث بشعره، فمن باب أولى أن يكون قد تناوله في خطبه المنبرية، وأحاديثه.

والأبيات السابقة يظهر فيها طابعه الإسلامي أكثر من أي شىء حيث عبر عن النكسة بأنها كانت للتمحيص، والله - عز وجل - تحدث عن البلاء بالتمحيص في القرآن الكريم وذلك فى معرض حديثه عن غزوة أحد إذ قال تعالى: (وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)[2].

ومما يؤكد أيضا على تفاعل الدكتور أحمد مع الأحداث التى يعيشها وحبه للدين الإسلامي وقيامه بنشر الدعوة الإسلامية بين الناس، ولم يكن منعزلا عن الأحداث، أنه اختير نائباً عن شباب محافظة الشرقية في المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية، وكان طالبا في

(١) الأبيات من قصيدة " نداء إلى أخى في النضال ": ديوان أصحاب الجنة د/ أحمد عمر هاشم صـ ٦٣. ط الأولى – أطلس للنشر والتوزيع.

(٢) .سورة آل عمران الآية (١٤١)

المعهد الديني في ذلك الوقت. فقد انتخبه شباب محافظة الشرقية من الأزهر والتربية والتعليم ليكون نائياً عنهم في المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية، برئاسة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وقدم الدكتور/ أحمد في هذا المؤتمر مطالب تقتضى إصلاح الأزهر، كما طالب بإعادة الأوقاف إليه، كما طالب أيضا بالالتزام بالتعاليم الدينية، وتطبيق الشريعة الإسلامية[1].

وهذا مما يؤكد على حبه للدعوة الإسلامية، وأنه لم يترك محفلا من المحافل التى دعى إليها إلا وقد تحدث فيه مبينا فضائل الإسلام ومحاسنه متمثلاً قول الحق تبارك تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[2].

وتتوالى الأحداث سريعاً " فيذاع خبر وفاة الزعيم " جمال عبد الناصر " يرحمه الله تعالى – في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ م ويتولى بعده الرئيس " محمد أنور السادات يرحمه الله – تعالى – رئاسة الجمهورية في ١٧ أكتوبر ١٩٧٠م".

فعمل على إزالة الفجوة بين الشعب وبين مراكز القوى داخل البلاد، و"أعاد بعض الحريات للصحافة وسمح للأحزاب السياسية بممارسة نشاطاتها وعرفت هذه الأمور بثورة التصحيح، والتى قومت العوج في ثورة يوليو ١٩٥٢م"[3].

تلك الثورة التى أعادت للشعب بعض الحريات التى كانت قد سلبت من مراكز القوى في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وتفاعل الجميع معها فكانت سببا لعبور

---

(١) حديث خاص مع فضيلة الدكتور / أحمد مسجل بتاريخ الأحد ١٨ من المحرم ١٤٢٦ الموافق ٢٠٠٥/٢/٢٧.

(٢) سورة النحل الآية (١٢٥).

(٣) المجمل في تاريخ مصر د/ ناصر الأنصارى صـ ٢٦٧.

الجيش المصرى في ١٩٧٣ م ضد أقوى مانعين من الموانع العسكرية وهما: " قناة السويس " وهى مانع مائى وخط بارليف " الذى أقامه اليهود على الضفة الشرقية للقناة حتى لا يتمكن الجندى المصرى من عبور قناة السويس.

" وشاءت إرادة الله – تعالى – أن ترفع راية الحق بعد أن نكست، وأن تتحرر الأرض بعد أن دنست، وإن يذوب الصمت الحزين في كل القلوب، وجاء الانتصار الباهر الذى أذهل العالم بإعجازه وفيض عطائه، حتى إن العسكرين في كل أنحاء العالم قد أعادوا حساباتهم وراجعوا أنفسهم في محاولة الوقوف على مستوى الإعجاز القتالي لقوى المؤمنين"[١].

وقد تآزراً العلماء والمصلحون مع الجيش والشعب في سبيل تحقيق النصر في معركة العبور ١٩٧٣ م تأزراً روحيا وعمليا، ويؤكد هذا ما يرويه لنا الدكتور أحمد عن شيخه الجليل الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر الأسبق بقوله: " لما كانت حرب العبور ذهب الشيخ عبد الحليم محمود رضى الله عنه – إلى الرئيس الراحل السادات، وأخبره برؤيا النبى ﷺ، وأنه رآه مع كوكبة من العلماء يعبرون، وبشر الرئيس السادات بالنصر، وقال له عليكم أن تعدوا للمعركة وستنصرون إن شاء الله ـ تعالى ـ، فقال له الرئيس السادات وما الذى أدراك أننا سننتصر ؟ قال له الشيخ لأن الرؤيا التى كان فيها النبى ﷺ يعبر ومعه علماء المسلمين، إشارة إلى أنه سيكون النصر – بإذن الله تعالى"[٢] وجاء انتصار السادس من أكتوبر ١٩٧٣ م نتيجة طبيعية لإتاحة الحرية ونصرة المظلومين والتجاء الأمة على الله – عز وجل ـ، " وينصرف الرئيس السادس بعد هذا الانتصار

(١) صوت الإسلام في الشعر العربي المعاصر د/ صفوت زيد صـ ١٧٠، ١٧١ ط الأولى ١٩٩٦.

(٢) حديث خاص مع فضيلة الداعية الدكتور/ أحمد عمر هاشم حديث مسجل بتاريخ ٤ / ٣ / ٢٠٠٥م.

مباشرة إلى مهادنة إسرائيل بعقد معاهدة " كامب ديفيد"[1] والتى أدت إلى مقاطعة العالم العربي والإسلامي قاطبة لمصر آنذاك.

ثم يتسلح الرئيس السادات بالسياسة الحكيمة ويقود مسيرة السلام مع إسرائيل لاستكمال استعادة أغلب الأراضي المصرية المحتلة " بعد زيارته التاريخية للقدس وتوقيعه لمعاهدة السلام مع إسرائيل في ١٩٧٨ م، ١٩٧٩م[2].

وتشاء الأقدار أن يموت زعيم مصر المحنك الرئيس " السادات " مغتالا وهو يحتفل بنصر أكتوبر في العرض الذى كان يقوم به رجال الجيش المصرى في السادس من أكتوبر ١٩٨١.

امتدت إليه أيادي آثمة أرادت أن تحرك الفتنة بين الناس إلا أن قوى البلد تصدت لهذا العدوان وقامت يترشيح الرئيس السابق "محمد حسنى مبارك"[3] لرئاسة الجمهورية، وتولى منصبة في ١٤ أكتوبر ١٩٨١م.

وكان المجتمع في تلك الآونة يموج بأفكار متناقضة، والكل ينسب ما يصدر عنه إلى الإسلام والإسلام منها براء، فقامت الدولة بفتح باب الحوار بين العلماء وبين

---

(١) الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية أبو الحسن الندوى صـ ١٢٠، ١٢١ دار القلم – الكويت) ط الخامسة ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٣ م بتصرف.

(٢) المجمل في تاريخ مصر د/ ناصر الأنصاري صـ ٢٦٧ بتصرف يسير.

(٣) محمد حسنى مبارك ولد في ٤ مايو ١٩٢٨ بكفر مصيلحى – محافظة المنوفية تخرج من الكلية الحربية ١٩٤٩ م – حصل على بكالوريوس علوم الطيران ١٩٥٠م شغل منصب قائد القوات الجوية ورئيس الأركان بالقوات الجوية ١٩٧٢ م، اختير نائبا للرئيس " السادات " ١٩٧٥ وأنتخب رئيسا للجمهورية في ١٤ أكتوبر ١٩٨١، وأنتخب رئيساً للحزب الوطنى الديمقراطى في ١٩٨٢/١/٢٦ م وخلع من منصبه فى ٢٠١١/٢/١١م بعد ثورة ٢٥ يناير المجيدة. انظر: موسوعة التاريخ الإسلامى د/ أحمد شلبى. جـ٥ صـ ٥٧٨ بتصرف.

الجماعات ذات الفكر المتطرف، فكان الدكتور أحمد عمر هاشم أحد هؤلاء العلماء الذين تصدوا لمناقشة هذه الأفكار الهدامة والرد عليها، من خلال البرامج والندوات والتى كانت تذاع عبر وسائل الإعلام مثل: " ندوة للرأى" ولقاء الإيمان " وغير ذلك.

هذا ولم تنس مصر أخواتها من الدول العربية والإسلامية الأخرى التى ظلت تكابد تحت ظلم الاحتلال، فتدخلت مصر في مفاوضات سلمية ومعاهدات دولية مع إسرائيل ؛ لفض النزاع العربي الإسرائيلى ومساندة الشعب الفلسطينى في قضيته، وأعلنت مقولتها التاريخية " إنها لم تحارب لكى تعتدى على أرض غيرها، وإنما من أجل تحرير أرضها واستعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى"[1] وهذه المقولة العظيمة تؤكد الدور القيادى الذى كانت تقوم به مصر ومدى مؤازرتها وتدعيمها للقضايا العربية إيمانا من أهلها– شعبا وقيادة – بأن العرب المسلمين كلهم واحد، لأن دينهم ونبيهم واحد "

ولم تكن قضية فلسطين هى القضية الوحيدة على الساحة العربية والإسلامية في وقتنا المعاصر، فقد عانت بعض البلدان العربية والإسلامية الأخرى من ذل الاعتداء على أراضيها وأعراضها، ومقدساتها مثلما وقع في البوسنة والهرسك والشيشان وأفغانستان والعراق ودول الخليج وغيرها.

وكما هو معهود برز دور العلماء والمصلحين والمفكرين المسلمين فنددوا بالاحتلال الغاشم والوجود الصهيونى المخرب بأي جزء من المنطقة العربية الإسلامية وضرورة تآزر الأمة من أجل تحرير المسجد الأقصى- من دنس اليهود والدول الغربية الأخرى.

ومن هؤلاء فضيلة الدكتور أحمد حيث يقول فى ذلك: " يا جماعة المؤمنين في كل يوم تطالعنا الأنباء بما يجرى في بعض بلاد العالم الإسلامى، وما يتعرض له المسلمون في

(١) حرب بلا بنادق – أنور محمد –صـ ١٣٩ بتصرف.

البوسنة والهرسك وغيرها من تصفيه جسدية وقتل وتعذيب وإبادة، وما كان لمؤمن على ظهر هذا الكوكب الأرضى يعلم بما يجرى لأخيه المسلم في أي موقع من العالم ويسكت... وما كان ليقف مكتوف اليدين، فإن الدول التى تقف مكتوفة الأيدي من بلاد المسلمين دون أن يتحركوا من أجل إخوانهم يصدق فيهم قول سيدنا المصطفى ﷺ من أصبح وهمه غير الله فليس من الله فى شيء، ومن لم يهتم للمسلمين فليس منهم"[1].

وإن الذين تجاهلوا الموقف ولم يصغوا لتلك الأنباء وما يجرى لإخوانهم المسلمين. يصدق فيهم هذا الحديث، وأما اللذين وقفوا بجانب إخوانهم معاونين لهم فهم المؤمنون حقا..

لابد وأن يقف المسلمون جميعاً عن بكرة أبيهم لتكون قوة ردع إسلامية تكون لها الصولة، وتكون لها القوة، لتتمكن من إيقاف هذا العدوان وغيره على أى بلد من بلاد العالم الإسلامي، أو على الأقليات الإسلامية.... فلكل مسلم حق على أخيه المسلم في أي موقع كان وفي أي بلد كان وفي أية دولة كانت وله حق عليه لان المؤمنين جميعاً كالجسد الواحد – كما قال الرسول – صلى الله عليه وسلم: " مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعي له ثائر الجسد بالسهر الحمى "[2].

من أجل ذلك نقول: أن نصرة هؤلاء المظلومين وإن الوقوف في وجه أولئك الظالمين أمر واجب...[3].

---

(١) المستدرك على الصحيحين جـ٤ صـ ٣٥٦ رقم الحديث ٧٩٠٢.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووى كتاب البر و الصلة والآداب باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم مجلد ٦ جـ١٦ صـ ١٤٤ رقم ٢٥٨٦.

(٣) زاد شيخنا المحدث د/ أحمد عمر هاشم صـ ١٩٢، ١٩٣ بتصرف وقد كان للدكتور/ أحمد كتابات أخرى في هذا الصدد (أنظر – التضامن في مواجهة التحديات، قضايا ومفاهيم في

ومن الأحداث الهامة في تاريخ العالم العربي الإسلامي تلك الجريمة التى روعت الآمنين في بيوتهم وفرقت جمعهم، وهو ما فعله رئيس العراق " صدام حسين من احتلال لأرض الكويت.

حيث " قامت العراق بغزو الكويت في ٢ أغسطس ١٩٩٠ م بتحريض من القوى الصهيونية، والتى بثت سموم الفتن والعداوات بين المسلمين، لتشتت شملهم وتنهك قوتهم، فتطيب لهم الغنيمة[١].

هذا الحدث الذى اهتز له العالم أجمع مع أنه لم يتحرك عندما كان هذا النظام يحارب إيران واستمرت هذه الحرب ثمان سنوات.

ومما يؤسف له أن العالم الإسلامي في ظل هذه الفترة الطويلة لم يتحرك ووقف ساكنا مع أن كلا البلدين من أهل القبلة !!

وتحركوا وثاروا وطالبوا الاستعانة من العالم الدولى من أجل الوقوف في وجه صدام وكان لعلمائنا البارزين صيحات ونداءات بضرورة انحساب دولة العراق من الكويت[٢].

وكان لشيخنا المحدث الدكتور أحمد موقفه الواضح والذى عبر عنه في مجلس الشعب المصرى يقوله.. أخرج يا صدام، أخرج يا صدام..

ضوء الإسلام للدكتور أحمد عمر هاشم.

(١) الإسلام والغرب – المواجهة والحل د/ محمد الحسينى إسماعيل صـ ٣٤ بتصرف – ط الأولى مكتبة وهبة ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.

(٢) من هؤلاء العلماء فضيلة الشيخ / محمد متولى الشعراوى، وفضيلة الشيخ / جاد الحق على جاد الحق و فضيلة الشيخ محمد الغزالى يرحمهم الله، وفضيلة الدكتور /محمد سيد طنطاوى، وفضيلة الدكتور / أحمد عمر هاشم وفضيلة الدكتور / عبد المنعم النمر و الدكتورة عائشة عبد الرحمن. (ينظر ذلك فى" مقالات وأحاديث علماء الإسلام حول جريمة غزو العراق للكويت – إصدار المركز الإعلامي الكويتى بالقاهرة.

ولو كان يدرك العالم الإسلامي أن القوات التى جاءت من أجل تحرير أرض الكويت ستحتل العراق وتخربه وتقتل شعبه ما طلب أحد منهم هذا المطلب.

وقد أمرنا الله – عز وجل – بعدم الاستعانة بهم، وذلك لأنهم لا يحبون المسلمين ويتمنون القضاء عليهم، يقول تعالى: " هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)[1] ومنذ ذلك الوقت أصبح العراق تحت وطأه الاحتلال الأمريكي وحتى الآن ولم تتوقف سلسلة الاحتجاجات الأمريكية ضد العرب والمسلمين فكلما أطفئت شمعة إسلامية خلقت قوى الشر حجة أخرى لإطفاء باقى الشمع من أجل إحكام سيطرتها وسيادتها على العالم أجمع.

وتوالت الأيام والسنون، وجاءت ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م، وتغير وجه مصر فى الحادى عشر من فبراير، وخُلع رئيس مصر، وكان لمحدثنا مواقف واضحة مؤثرة، ظهرت في كتاباته ولقاءاته الإعلامية وخطبه المنبرية. فلقد أخرج الشيخ كتابًا جمع فيه مجموعات مقالات كتبها فى الصحف الرسمية، وسمى الكتاب مصر ـ ودعائم المواطنة، طبعة دار الكتب والوثائق القومية فى ٢٠١٢م – تحدث فيه عن واجب الأمة فى مواجهة التحديات فقال: إن واجب الأمة الإسلامية فى مشارق الأرض ومغاربها حيال الدعوة العالمية أن تقوم بنشرها ودعوة الناس إليها، اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث يبعث بالكتب إلى ملوك الأرض ورؤسائها يدعوهم إلى الإسلام، مثل كتابه إلى هرقل عظيم الروم وغيره من ملوك الأرض والرؤساء[2].

كما تحدث الشيخ عن: **حماية الوحدة الوطنية بعد الثورة والحفاظ على الحرية**

---

(١) سورة آل عمران الآية (١١٩).

(٢) ينظر: مصر ودعائم المواطنة فى ميزان الإسلام/ ١٢١، ط دار الكتب والوثائق القومية.

الدينية. فقال:

لقد كفل الإسلام الحرية الدينية لغير المسلمين الذين يعيشون فى المجتمع الإسلامى، فلم يكره أحدًا على الدخول فى الإسلام، قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ ﴾[1] كما صان الإسلام حرمة غير المسلمين، وجعل من حقهم أن يبدوا رأيهم، وأن يناقشوا، وأمر المسلمين ألا يجادلوهم إلا بالتى هى أحسن، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾[2].

كما أحل الإسلام طعام الذين أوتوا الكتاب للمسلمين، وأحل طعام المسلمين لهم والزواج من نسائهم فقال تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖ ﴾[3].

كما دعا الإسلام إلى حسن معاملة غير المسلمين وزيارتهم وعيادة مرضاهم، وتبادل

---

(١) سورة البقرة، من الآية ٢٥٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٣) سورة المائدة من الآية ٥.

المنافع معهم والتعاون على الخير، والبيع والشراء، وسائر المعاملات، وكان رسول الله ﷺ القدوة فى ذلك فى الكثير من المعاملات، لدرجة أنه مات ودرعه مرهونة عند يهودى في دين له عليه، وكان بعض أصحاب الرسول ﷺ إذا ذبح شاة يقول لخادمه: ابدأ بجارنا اليهودى.

وعندما مرت على رسول الله ﷺ جنازة قام لها، فقيل له: إنها جنازة يهودى. قال: «أو ليست نفسًا»، وكان التوجيه الإسلامى داعيًا إلى عدم التضييق عليهم فى ممارسة شعائرهم، وألا تهدم لهم كنيسة ولا يكسر لهم صليب، إلى آخر التعاليم التى تحمى حريتهم الدينية، والتى هى أكبر شاهد على سماحة الإسلام وعلى قبول التعددية الدينية التى تلتزم بالتعاليم ولا يكون منها عدوان ولا خروج على الشريعة والحق.

وإن حب الوطن من الإيمان، وإن المحافظة عليه والدفاع عنه يستوجب أن يكون أبناء الوطن الواحد على قلب رجل واحد، ولا يتأتى لهم ذلك إلا إذا قامت بينهم وحدة وطنية، متجردة من الأهواء بعيدة عن التعصب؛ لأن ديننا الإسلامى دين عالمى، ختم الله بشريعته الشرائع السابقة، وختم بالقرآن الكريم الذى أنزله على سيدنا محمد ﷺ جميع الكتب السماوية السابقة، وختم برسولنا ﷺ جميع الأنبياء والمرسلين، وهذا الدين عالمى الدعوة، ليس لقطر دون قطر، ولا لزمان دون زمان، ولكنه خالد إلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

ومن أجل ذلك جاءت دعوته العالمية لا تخاطب فئة دون فئة، بل جاءت تخاطب الناس جميعًا، وتأمرهم أن يعبدوا ربهم، وأن يؤمنوا به، وطبق رب العزة سبحانه وتعالى هذه الدعوة العالمية تطبيقًا عمليًا؛ ليطلع كل الفئات والطوائف فى المجتمعات البشرية إلى قيام الساعة، وليبين لها أن هذا الدين يجب اتباعه، وأن هذا الرسول ﷺ يجب الإيمان به، طبَّق ذلك عمليًا فى ليلة الإسراء والمعراج حين حشر الله جميع الرسل والنبيين أيقاظًا أحياءً بأجسادهم وبلحمهم ودمهم وهو على كل شيء قدير فهو المحيي والمميت وهو الذى يبعث من شاء متى شاء فى أى وقت شاء، حشرهم فى ليلة الإسراء والمعراج، وأوجدهم

أحياء، واجتمعوا فى المسجد الأقصى وجاء جبريل، وأخذ بيد الحبيب المصطفى ﷺ وقدمه للقبلة ليصلى بهم إمامًا. وتقديم جبريل هو تقديم بوحى إلهى وأمر ربانى، فصلى بهم صلى الله عليه وسلم إمامًا، فكانت إمامته لجميع الرسل والنبيين إعلانًا لأتباعهم فى كل الأرض وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين لعالمية الإسلام، وأنه إذا كان النبيون اقتدوا به واتبعوا هذا النبى فأولى بأتباعهم فى كل الأرض أن يتبعوه إلى أن تقوم الساعة.

وكان إعلانًا في الوقت نفسه إلى وحدة الدين السماوى، وعدم التفرقة بين نبى ونبى وبين رسول ورسول وشريعة وشريعة، وجاء الإسلام ليعلن أن الواحد منا لا يكون مسلمًا ولا يكون مؤمنًا كامل الإيمان إلا إذا آمن بالنبيين والرسل أجمعين: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥ ﴾[1].

أى أن المسلم لا يكون مسلمًا ولا يكون مؤمنًا حق الإيمان إلا إذا آمن بالرسل جميعًا من لدن آدم وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم إلى خاتمهم سيدنا محمد ﷺ، ليس فى هذا تعصب، بل فى هذا إيمان بالرسل جميعًا، كما امتاز الإسلام أيضًا بأنه لا يكره أحدًا على الدخول فيه، بل إن من اقتنع بهذا الدين ودخله مؤمنًا صادقًا، فأهلاً ومرحبًا، ومن لا يقتنع فله دينه:

﴿ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ ٦ ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآية ٢٨٥.

(٢) سورة الكافرون، الآية: ٦.

﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ (١).

﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ ﴾ (٢).

﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٣).

﴿ إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ (٤).

إن مبادئ الإسلام التى قررها القرآن الكريم وأعلنها بأنه لا إكراه فى الدين، وأعلن حقوق المسلمين وحقوق غير المسلمين جاءت تعلن العدالة والحرية والسماحة والوفاء والعدل بين الناس جميعًا فى الحقوق والواجبات، وقبل أن يدخل الإسلام مصر وقبل الفتح الإسلامى، كان الأقباط فى مصر يعيشون تحت نير الاستعمار الرومانى، ويتذوقون من الروم العشف والشدة والعنف والقتل والحرب والإيذاء والاضطهاد الذى ما بعده ولا قبله اضطهاد، حتى إن أقباط مصر استجاروا بهذا الدين الذى سمعوا عنه أنه لا إكراه فيه، وسمعوا أنه دين العدالة ودين الرحمة، وأنه الدين الذى يسوى بين الحاكم والمحكوم وبين الغنى والفقير وبين القوى والضعيف، وأنه الدين الذى ينصف المظلوم والذى يعطى كل ذى حق حقه، سمعوا بهذا الدين فتنادوا إليه ورحبوا به وتمنوا أن يأتيهم فما إن نزل الإسلام مصر وجاءها الفتح الإسلامى حتى كان الأقباط أول المرحبين بالدين وأول الفرحين به؛ لأنه أخرجهم من الظلمات إلى النور، وأعطاهم حقوقهم، ووقف

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.

(٢) سورة ق، الآية: ٤٥.

(٣) سورة الغاشية، الآية: ٢٢.

(٤) سورة القصص، الآية: ٥٦.

بجوارهم، وأنصف المظلين منهم، ورد عنهم كيد الرومان، فأحبوا دين الله، وأعلن القرآن حبهم أيضًا، كما أعلن عداوة اليهود للمؤمنين حين قال: ﴿ ۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[1].

ثم تحدث الشيخ عن: **شواهد تاريخية لترسيخ دعائم الوحدة الوطنية** فقال:

إن اختلاف الناس في عقائدهم، وفي أجناسهم وألوانهم بإرادة الله رب العالمين.

وقد وضح القرآن الكريم ما قضته الإرادة الإلهية منذ الأزل من اختلاف الناس فى عقائدهم، وذلك لحكمة يعلمها الحكيم الخبير، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ** ﴾[2].

ولا يكره الإسلام أحدًا على دخول فيه؛ فهو لم ينتشر بسيف ولا عُنف ولا إكراه. قال الله تعالى: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾[3].

فلو أراد الله توحيد الأديان لوحدها ولو شاء أن يجعل الناس أمة واحدة لجعلهم.

---

(١) سورة المائدة، الآية ٨٢.

(٢) سورة هود ، الآية ١١٨-١١٩.

(٣) سورة البقرة ، الآية ٢٥٦.

الدين للديان جل جلاله لو شاء ربك وحد الأقواما.

ولقد شهد تاريخ الإسلام الحرص على ترسيخ دعائم الوحدة الوطنية من فجر الإسلام فمنذ الهجرة النبوية كان أول عمل قام به رسول الله ﷺ هو بناء المسجد النبوى لتوثيق الصلة بالله، وكان العمل الثاني هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وكان العمل الثالث وضع الوثيقة التى أبرمها بين المسلمين وغيرهم وهى صحيفة المدينة التى تُعتبر أول وثيقة عرفتها البشرية لحقوق الإنسان، فعاهد غير المسلمين أن يكونوا مع المسلمين يدًا واحدة فى مواجهة أعدائهم، فأول من أقام نسيج الوحدة الوطنية هو رسول الله ﷺ حين أعلن دستور المدينة، وقرر حقوق غير المسلمين كحقوق المسلمين في المواطنة.

وطبق المسلمون دعائم الوحدة الوطنية بعد ذلك، فقرر الفاروق عمر ﷺ أن لأهل الكتاب كفالة فى بيت مال المسلمين، فقد روى أنه مر بباب جماعة، فوجد سائلًا يسأل، وهو شيخ ضرير فسأله قائلاً: من أى أهل الكتاب أنت؟

قال: يهودى، فسأله: ما ألجأك إلى ما أرى ؟

قال: أسأل الجزية والحاجة والسن، فأخذ عمر ﷺ بيده إلى منزله وأعطاه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال فقال له: انظر هذا وإضرابه فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ثم نخذله عند الهرم.

إنها صورة مشرقة في تاريخ الإسلام توضح إلى أى مدى كانت الوحدة الوطنية أقوى ما يكون. وقد طبق المسلمون تعاليم الإسلام في الحفاظ على حقوق غير المسلمين لدرجة أن شيخ الإسلام ابن تميمة رحمه الله تمسك بإطلاق الأسرى الذين كانوا فى أيدى التتار من أهل الذمة مع المسلمين، فعندما أطلق قائد التتار أسرى المسلمين فقط دون أسرى أهل الكتاب لم يقبل شيخ الإسلام ابن تيمية، وقال لقائد التتار: لا نرضى إلا بإطلاق جميع الأسارى من اليهود والنصارى، فهم أهل ذمتنا ولا ندع أسيرًا لا من أهل الذمة ولا من أهل الملة، فحقق لهم قائد التتار ما أراد، وأطلق جميع الأسرى حين رآه مُصرًّا على ذلك.

ونرى صورة أخرى من صور التسامح والحفاظ على الوحدة الوطنية عند فتح مصر حيث علم عمرو بن العاص ﷺ بخروج بنيامين هربًا من عسف الرومان وظلمهم، فأرسل من ينادى على بنامين ويدعوه إلى المجيء آمنًا معززًا مكرمًا، من أجل أن يدبر شئون أهل ملته، وجاء وتولى أمور إخوانه فى أمن وسلام.

وهكذا ظل المسلمون والأقباط يعيشون فى مناخ أخوى آمن لا عنصرية فيه ولا طائفية فيه، بل قامت بينهم الوحدة الوطنية راسخة القواعد، وعاش المسلمون والأقباط فى أمن وسلام.

وظل المسلمون مع غير المسلمين لا يُعادى أتباع الإسلام أى دين آخر، بل إن الإسلام أمر بالإيمان بجميع الأنبياء دون تفريق بين أحد منهم.

قال الله تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ (١).

ونهى الإسلام عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن. قال الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ (٢).

---

(١) سورة البقرة، الآية ١٣٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

فواجبنا جميعًا أن نحمى الوحدة الوطنية من أى محاولة سلبية تحاول هزَّ بنائها، أو إشعال الفتنة الطائفية بين أى من عنصرى الأمة.

وليعلم كل متعصب يحاول إثارة الفتنة الطائفية بأنه لا يخدم قومه بل بالعكس إنه يخدم أعداء الأمة الذين يتربصون بها الدوائر، والذين يسرهم كل السرور أن يروا الأمة فى فرقة واختلاف؛ لأن مبدأهم القديم هو: "فرق تسد" وإلى جانب هذا فعلى الجميع أن يعلموا بأنا ركاب سفينة واحدة، وسكان وطن واحد، وأننا جميعًا كالجسد الواحد إذا مسَّ عضوًا من أعضائه السوء سرى التعب.

ثم كتب الشيخ عن: **ركائز الوحدة الوطنية**، فتحدث عن التعايش الاجتماعى للمسلمين مع غير المسلمين فقال:

لقد أرسى الإسلام أصولًا بمقتضاها يتعايش المسلمون مع غير المسلمين فوق أرض واحدة، وتحت سماء واحدة، وفى مجتمع واحد.

وكانت هذه الأصول متمثلة فى البر والعدل حيث قال الله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1].

وجعل الإسلام التعايش الاجتماعى بين المسلمين وغير المسلمين قائمًا على

(١) سورة الممتحنة، الآية ٨-٩.

المعاملة الحسنة، فعند الحوار أو الجدال لابد أن يكون الجدال بالتى هى أحسن؛ حتى تظل جسور التواصل والتعاون قائمة، فقال الله تعالى: ﴿ ۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾ (١).

ولو كان غير المسلم مشركًا واستجار بالمسلم فعلى المسلم أن يجيره وأن يبلغه مأمنه، وهنا تتجلى عظمة الإسلام فى إرساء أصول التعايش الاجتماعى الآمن، حيث قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِنۡ أَحَدٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ٱسۡتَجَارَكَ فَأَجِرۡهُ حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبۡلِغۡهُ مَأۡمَنَهُۥۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡلَمُونَ ٦ ﴾ (٢).

ومن أوجه التعايش الاجتماعى إباحة زواج المسلمين من نساء أهل الكتاب، وإباحة طعامهم وإباحة طعام المسلمين لهم، كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن

(١) سورة العنكبوت، الآية ٤٦.

(٢) سورة التوبة، الآية ٦.

يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝﴾ (١).

ومن أوجه التعايش الاجتماعى ما فعله رسول الله ﷺ حيث عامل أهل خيبر وهم يهود على نصف ما يخرج من أراضيهم، على أن يعملوها بأموالهم وأنفسهم، وهذه شركة فى الزرع والغرس والثمر، وقد ابتاع رسول الله ﷺ طعامًا من يهودى بالمدينة، ورهنه درعه، فهذه تجارة مع اليهود ومعاملتهم جائزة.

وها هو ذا عبد الله بن عمرو بن العاص – رضى الله عنهما – ذبحت له شاة فى أهله، فلما جاء قال: "أهديتم لجارنا اليهودى" سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»(٢).

ومن نماذج التعايش أيضًا تقدير الرسول ﷺ للأموات ولو كانوا غير مسلمين ولجنائزهم، عن عبد الرحمن بن أبى يعلى قال: "كان سهل بن حنيف وقيس بن سعد قاعدين بالقادسية، فمُرَّ عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنها من أهل الأرض، أى من أهل الذمة، فقالا: إن النبى ﷺ مرت به جنازة فقام، فقيل له: إنها جنازة يهودى فقال: «أليست نفسًا؟»(٣).

بل بلغت سماحة التعايش الاجتماعى للمسلمين مع غير المسلمين مبلغًا سمح لوفد نجران بدخول المسجد النبوى وأداء شعائرهم فيه، لما قدم وفد نجران على رسول الله ﷺ دخلوا عليه مسجده، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون فى مسجده، فأراد الناس منعهم

---

(١) سورة المائدة، الآية ٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأداب، باب الوصية بالجار، جـ٨، صـ ١٠، حـ٦٠١٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب من قام لجنازة يهودي، جـ٢، صـ ٨٥، حـ ١٣١٢.

فقال رسول الله ﷺ: «دعوهم» فاستقبلوا المشرق وصلوا صلاتهم [١].

ولم يقتصر هذا التسامح على حال دون أخرى، بل رأينا توجيهات الإسلام تنهى حتى فى الحروب عن الغدر والتمثيل، عن بريدة ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميرًا على جيش أو سرية، أوصاه فى خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «اغزوا باسم الله فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدة»[٢].

وقد شهدت الحياة الاجتماعية تعايشًا بين المسلمين وغيرهم وشهدت دفاع المسلمين عنهم وحمايتهم لحقوقهم، لدرجة أن ابن تيمية – رحمه الله – حين تغلب التتار على الشام، وأسروا جماعة من المسلمين وأهل الذمة ذهب إلى حاكمهم، وكلمه فى إطلاق سراح الأسرى، فأطلق أسرى المسلمين ومنع أسرى أهل الذمة، فأبى الرجوع إلا بافتكاك أسرى أهل الذمة، وحصل له ما أراد[٣].

كما حمى الإسلام أموال غير المسلمين وصانها وجاء فى عهد النبى ﷺ لأهل نجران: «ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة رسوله على أموالهم وملتهم وبيعهم وكل ما تحت يديهم من قليل أو كثير».

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة، باب وفد نجران وشهادة الأساقفة لنبينا، جـ٥، صـ ٣٨٢، طـ دار الكتب العلمية.

(٢) أخرجه الترمذي في السنن، باب ما جاء في النهي عن المثلة، جـ٤، صـ ١٦٢، حـ١٤٠٨.

(٣) فتاوى ابن تيمية ٦١٧/٢٨.

المبحث الثانى

الحالة الدينية

هى " تلك الحياة التى تستمد روحها من الدين الذى هو فطرة أصيلة في نفس الإنسان. وليست هناك أمة في التاريخ عاشت ثم مضت دون أن يكون لها تصور – بشكل ما – عن الدين والألوهية وبذلك فإن الدين طالما يلبى حاجات الإنسان الروحية، فإن ذلك يعنى أنه قد جاء لمصلحة الإنسان ليحيا حياته في ظل هذا الدين. وهذا ما فعله الإسلام، إذ جاءت تشريعاته جميعا لتؤكد على حياة الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة.

فالحياة الدينية في الإسلام جاءت لتشتمل على موضوع رئيسى- هو الإنسان، فالإنسان وحياته إذن هو قضية القضايا في الدين، وهو محور هذا الكون وسيده بفضل الدين الذي جعله الله به خليفته في الأرض، وأسند إليه مهمة تعمير الكون وصنع الحضارة فيه"[1].

لقد كان تحجيم الحياة الدينية في مصر والعالم العربي – فترة ميلاد شيخنا وما بعدها – نتيجة حتمية لما شهده المجتمع من فساد سياسي وتدهور اجتماعي، من سيطرة استعمارية، وتناحر على السلطة، و انحطاط في الجانب الأخلاقي.

فلم يكن من مصلحة المستعمر بقاء العادات الإسلامية كما هى، ومن ثم عمل جاهداً على محو كل ما هو إسلامي، وكانت أولى الخطوات لذلك " تنحية الشريعة الإسلامية من الحياة وحصرها في أضيق نطاق، تشريعاً وقضاءً، وفصل ما يسمي بالمدارس المدنية والمدارس الدينية [2].

---

(١) هموم الأمة الإسلامية د/ محمود حمدى زقزوق صـ ١٨ مكتبة الأسرة القاهرة ٢٠٠١.

(٢) وسائل الإعلام المطبوعة في دعوة الأخوان المسلمين محمد فتحى على شعير صـ ٦٥ بتصرف – دار الأنصار.

وكان لهذا التقسيم أثره السيئ على الحياة الدينية في مصر، إذ ترتب عليه تخريج أجيال من الشباب شق منهم دارسون للعلوم المدنية ولكنهم لا يعرفون عن العلوم الدينية إلا القليل، والشق الآخر: دارسون للعلوم الدينية ولكن معرفتهم للعلوم الدنيوية ضئيلة مما ترتب عليه انفصال الدارس الدينى عن واقع حياته المعاصرة وتنحيته عن تقلد المناصب القيادية الهامة للدولة.

ومثل هذه المخططات هدفها الأساسى أن " يتلاشى التعليم الدينى، وتتحول جامعاته الكبرى إلى جامعات مدنية، وأمله إن لم يقع ذلك تقريباً – أن يكون المنتسبون إلى الدين موضع الإهمال والزراية بضحالتهم وعجزهم وتنكر الدنيا لهم"(١).

وفي سبيل القضاء على الإسلام نشر المستعمرون سمومهم القاتلة، وبثوا أفكارهم الملوثة ببراثن الوثنية والإلحاد، فشككوا في تراث الأمة الخالد، وأثاروا الشكوك والشبهات حول نبعى الدين الصافيين – القرآن الكريم والسنة والمطهرة ـ، وروجوا لألوان الفجور والفوضى، والهدف من وراء هذا كله " حل عروة الدين، وإزاحة القيم الإسلامية عن مكان الصدارة في نفوس الشعب، وابتغاء قتل العواطف الزكية، وأماتة الأحاسيس النبيلة، حتى تستمرىء النفوس المهانة، فيمضى الدخلاء إلى أهدافهم آمنين غيرة القيم، وحمية الدين، لأن الفحشاء تقتل العواطف، وشيوعها يميت الإحساس(٢).

ولم يقف الاستعمار عند هذا الحد، بل سارت مخططاته – لهدم الشريعة الإسلامية، ومحو العقيدة من نفوس المسلمين – في خطوط متوازية ومتزامنة فأحيوا العصبيات العرقية، والنزعات القبلية، وأصبح كل بلد يفتخر بما ينتسب إليه من أصول

(١) ظلام من الغرب – الشيخ / محمد الغزالى صـ ١٥٧ بتصرف.

(٢) الاتجاه الإسلامي في الشعر المصرى المحافظ – د/ نبيل سليمان طبوشة صـ٩٧ بتصرف – مكتبة وهبه – ط ١ سنة ١٩٧٥.

بعيدة عن الأصل الموحد وهو الإسلام، فهذا فرعونى، وذاك فينيقى، وهذا بربرى، والآخر آشورى... وتناسى الجميع أنهم كلهم لآدم، وأدم من تراب.

وإحياء تلك النزعات والعصبيات هدفها " إضعاف النزعات الدينية وتمزيق أوصال المسلمين في مستعمراتهم، حتى يستطيعوا أن يواجهوهم واحداً واحداً"(١).

وهذا ما تم بالفعل، فقد تساقطت الدول الإسلامية الواحدة تلو الأخرى كتساقط حبات العقد تحت يد المستعمر الغاصب، حتى إنه لم تنج بلدة واحدة من الاستعمار الذى ظل جاثماً على البلاد حتى أمد بعيد. وقد عمد المستعمر أيضا إلى القضاء على اللغة العربية، وهذا من خلال " إحياء اللهجات العامية، وفتح الطريق أمام اللغات الأجنبية"(٢).

فأصبح تعليم اللغة العربية في المؤسسات التعليمية بالعامية، وتجمدت قواعدها وسيطرت العامية على الجهاز الإعلامى، وفي حين تتراجع اللغة العربية وكان الأولى تعلمها لأنها لغة القرآن الكريم، فإن البعض كان يتشدق باللغة الأجنبية، وينطقون بعض كلمات وجمل إنجليزية من باب الاعتزاز وإظهار الثقافة.

ولم يكن القضاء على اللغة العربية هدفاً في ذاته، بل الهدف الأساسي هو القضاء على القرآن الكريم بطريق غير مباشر، لآن المسلمين إذا بعدوا عن مفردات العربية وأساليبها المختلفة عندئذ.

" يستغلق على الناس فهم القرآن الكريم، ويبطل سحره في حياة المسلمين فيوضع فى المتاحف ؛ لأنه لا يوجد بعد ذلك من يفهمه"(٣).

---

(١) ظلام من الغرب – الشيخ / محمد الغزالى صـ ١٣٦ بتصرف.

(٢) الوحدة الإسلامية – أ/ أنور الجندى صـ ٣٦.

(٣) ظلام من الغرب – الشيخ/ محمد الغزالى صـ ١٥٨ بتصرف يسير.

ولأن الغاصبين يدركون جيداً أن عزة المسلمين وقوتهم وحضارتهم في القرآن الكريم، فقد جعلوه ضمن مستهدفاتهم الأولى ؛ لأنهم لو نجحوا في محوه من الصدور فلن تقوم للعرب قائمة.

وفي ذلك يقول أحد المستشرقين: " متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب، يمكننا حينئذ أنه نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابة"[1].

وهم بذلك يريدون للعربي أن يذوب في بوتقة الحضارة الغربية بعاداتها الماجنة، ومفاسدها المادية الطاغية، بعيداً عن دينه وكتابة ونبيه.

وفي نفس المعنى عبر الحاكم الفرنسي في الجزائر بمناسبة مرور مائة عام على احتلالها بقوله: " يجب أن نزيل القرآن العربي من وجودهم... ونقتلع اللسان العربي من ألسنتهم، حتى ننتصر عليهم)[2].

وقد تحقق شق كبير من هذا الكلام، فقد جاءت أجيال عربية مسلمة مثقفة لا تعرف عن قرآنها أو عربيتها إلا ما ندر، وثقل القرآن الكريم على ألسنتهم، واستغلق على أفهام الكثيرين.

ولم يتوقف هذا السيل الجارف من حملات التضليل، فقد جند العدو أتباعه لنشر الفكر الصهيوني، ففتح باب الاستشراق على مصراعيه، وازدادت حركة التبشير(التنصير)، وظهرت العلمانية[3] والتغريب ؛ بهدف صرف المسلمين عن دينهم

---

(١) المسلمون بين الأزمة والنهضة د/ عبد الحى الفرماوى صـ ٥٩.

(٢) السابق صـ ٦٠.

(٣) العلمانية في اللغة: (اللادينية) " وهو ما لا صلة له بالدين واصطلاحا: هى نظام اجتماعي في الأخلاق مؤسس على فكرة وجوب قيام القيم السلوكية والخلقية على اعتبارات الحياة المعاصرة والتضامن الاجتماعي دون النظر إلى الدين " أنظر الإسلام والعلمانية وجه لوجه د/

وأصالتهم.

يقول أحد المستشرقين: " إن للتبشير بالنسبة للحضارة الغربية مزيتين: مزية هدم، ومزية بناء. أما الهدم فنعنى به انتزاع المسلم من دينه، ولو بدفعه إلى الإلحاد. وأما البناء فنعنى به تنصير المسلم إن أمكن ليقف مع الحضارة الغربية ضد قومه"(١).

وقد وقع كثير من المسلمين فريسة لهذا، الفكر الملحد، منهم من حدث له كما يقولون (غسيل مخ) وسقط في إغراءات تلك الحضارة، وهناك من تبنى الفكر العلمانى والتغريبى، ـ وهذا واقع نلمسه حتى يومنا الحالى – ويروجون له في العالم.

وفي الوقت نفسه سيطر الفكر العلمانى على وسائل الإعلام، وجندها الصهاينة لخدمة أهدافهم، فعرضت مظاهر الخلاعة علانية عبر أجهزة الإعلام المسموعة والمرئية، وكثرت الأفلام والمسلسلات وظهرت " كتب وجرائد ومجلات لا هدف لها إلا إطفاء أثر الدين في نفوس الشعب المصرى مثل الأهرام والهلال"(٢)والمصور والفن والنبأ وغيرها.

وكان لهذه المفاسد أثرها السيئ على حياه المسلمين الدينية، فقد " أنحرف كثير من الناس عن التمسك بأهداف الدين، وظنوا أن ذلك مظهراً من مظاهر التمدن والحضارة، فتزعزعت عقيدتهم، وأعرضوا عن سنة رسول الله ﷺ"(٣).

فقل عدد من يؤدون الصلاة، وانصرف الناس عن المساجد إلى أماكن اللهو، وشغف كثير منهم باللعب وسماع الأفلام والمسلسلات والسهرات الليلية، وبخاصة أبناء

يوسف القرضاوى صـ ٤٢، ٢٢ ط السابعة مكتبة وهبة ١٤١٧ هـ/ ١٩٩٧ م.

(١) المسلمون بين الأزمة والنهضة د/ عبد الحى الفرماوى صـ ٦١.

(٢) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر د/ محمد محمد حسين جـ١ صـ ٢٤٤ مكتبة الآداب بالقاهرة ط الثانية.

(٣) كفاح دين – الشيخ / محمد الغزالى صـ ١٣٤ مكتبة وهبه ط الخامسة سنة١٩٩١م.

الطبقة الثرية.

ولما كان قيام ثورة يوليو ١٩٥٢ م مظهراً من مظاهر التمرد على الاحتلال، ورفض الظلم ؛ لأن المصرى دائما يأبى الضيم، فقد كانت هذه الثورة بمثابة صحوة دينية إلى جانب صحوة سياسية وفكرية.

فقد هبَّ العلماء والمصلحون ينددون بمظاهر الفساد والفحش، ويطالبون بعودة القيم الإسلامية، وتآزر العلماء والدعاة مع قواد الثورة والشعب يوقظون النائمين، ويحركون الهمم المثبطة، ويثيرون حمية الدين والعرض والوطن في النفوس.

وهؤلاء " مصلحون أفذاذ، استهدفوا بعث الأمة الإسلامية من جديد في مواجهة التحديات المصيرية التى تجابهها، وحاولوا تشخيص المرض وتشخيص الدواء الناجع لتلك المرحلة"[١].

ومن أمثلتهم الشيخ / البهى الخولى[٢] والشيخ / أحمد حسن الباقورى[٣] والشيخ /

---

(١) أضواء على طريق العودة إلى الإسلام. د/ أحمد خليل صـ ٥ بتصرف – طبع مصر العربية للنشر والتوزيع – ط الأول ١٩٨٨ م.

(٢) الشيخ البهى بن نجا بن إبراهيم الخولى، ولد عام ١٣١٧ هـ/ ١٩٠١ م بقرية القرشية – مركز السنطة محافظة الغربية، تخرج في كلية دار العلوم – تقلد عدة وظائف منها: مدير عام بمساجد الأوقاف =وعضو في المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وله العديد من المؤلفات منها (تذكرة الدعاة، الثروة في ظل الإسلام – مفهوم ومنهج الاقتصاد الإسلامي – المرأة بين البيت و المجتمع – توفى في ١٧ ديسمبر ١٩٧٧، ينظر في ذلك: رسالة ماجستير بعنوان (الشيخ البهى الخولى وجهوده – في الدعوة إلى الله - تعالى) للباحث / يسرى محمد عبد الخالق صـ ٣٠ – ٥٧ كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية شعبة الدعوة الإسلامية ١٤٠٥ هـ/ ١٩٩٤ م.

(٣) الشيخ / أحمد حسن الباقورى ولد ببلدة باقور محافظة أسيوط عام ١٣٢٥ هـ/ ١٩٠١ م تخرج في كلية اللغة العربية بجامعة الأزهر عام ١٩٣٢ م، وحصل على التخصص عام ١٩٣٦ م عين وكيلا

محمود شتلوت[1] والشيخ / محمد الغزالى... وغيرهم من المصلحين – يرحمهم الله جميعاً ـ.

وكان الدكتور/ أحمد عمر هاشم في تلك الآونة يعتلى المنبر وهو لا يزال طالباً بالمرحلة الإعدادية وعمره يناهز الحادية عشرة، وكان لتلك الأحداث أثر إيجابى على فكرة وشخصيته، فقد زاد حبه للقرآن والسنة، وازداد تعلقاً بالدعوة الإسلامية، وشارك في إيقاظ الوعى ونشر المبادئ الإسلامية.

ومن هنا فقد بزر دور الأزهر وعلمائه ودعاته في مقاومة الفساد، ومناهضة الاستعمار، إلى جانب غيره من المؤسسات الدينية الأخرى كوزارة الأوقاف، ومجمع البحوث الإسلامية، والمجمع الأعلى للشئون الإسلامية، ومجمع اللغة وغيرها ممن دأبوا على الذود عن دمن الله – تعالى ـ.

وفي فترة الخمسينات ظهرت في مصر تيارات هدامة، كادت تعصف بالمجتمع،

لمعهد أسيوط عام ١٩٤٧ م واختير وزيراً للأوقاف عام ١٩٥٢ م وعين مديراً لجامعة الأزهر عام ١٩٦٤، وله مؤلفات منها: معا نى القرآن بين الرواية والدراية – مع الصائمين - العودة إلى الإيمان – الأسرة في الإسلام، توفى في عام ١٤٠٥ هـ/ ١٩٨٥ م (ينظر ذلك رسالة ماجستير بعنوان (الشيخ / أحمد حسن الباقورى وجهوده في الدعوةإلى الله – تعالى – دراسة تقويمية للباحث / عبد الله عبد الحميد درويش صـ ٥٠ – ٨٣ كلية أصول الدين بالقاهرة قسم الدعوة والثقافة الإسلامية ١٤٢٢ هـ/ ٢٠٠٢ م.

(١) الشيخ محمود شلتوت: ولد ببلدة إيتاي البارود بمحافظة البحيرة سنة ١٨٩٣، نال العالمية سنة ١٩١٨ عين مدرساً بالمعاهد ثمّ بالقسم العالي ثمّ مدرساً بأقسام التخصص، ثمّ وكيلاً لكلية الشريعة، ثمّ عضواً في جماعة كبار العلماء، ثمّ شيخاً للأزهر سنة ١٩٥٨ وكان عضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٦ وكان اول حامل للقب الإمام الأكبر. (من موقع – Wikipedia من على الانترنت).

ومن أخطرها تيار " الشيوعية"[1]، التى اعتنق مبادئها بعض المثقفين المصريين ودعوا إليها، وما هى إلا مذهب كفر وإلحاد ؛ لعدائها لدين الإسلام خاصة، ولسائر الأديان عامة.

ومع بداية السبعينيات وقيام معركة العاشر من رمضان معركة العبور العظيم – واكب وجود الشيوعية ظهور جماعات إسلامية كثيرة على الساحة الدينية في مصر، كجماعة شباب محمد[2]، وجماعة تنظيم الجهاد[3] وغيرها إلى جانب الجماعات التى كانت موجودة من قبل كجماعة الشبان المسلمين[4]، والتى شارك فيها الدكتور / أحمد بعد ذلك

---

(١) الشيوعية: مذهب غربى ظهر على يد كارل ماركس الألمانى وفريدريك انجلز، وقد اشتركا معا فى نشر مبادئ الشيوعية، وهو مذهب هدام لا يؤمن إلا بالمادة، وينكر الألوهية والوحى والبعث ويعادى الإسلام، وسائر الأديان، وقد ظهر هذا المذهب عقب نجاح ثورة يوليو ١٩٥٢ (أنظر: أسس المجتمع الإسلامي والمجتمع الشيوعي دراسة مقارنه د/ زيدان عبد الباقى صـ ٣،٤ ط دار المعارف بالقاهرة، مطبعة السعادة. (بدون).

(٢) والتى ظهرت عام ١٩٧٤ بسبب قيامها بالهجوم على الكلية الفنية العسكرية ومؤسسها د/ صالح سرية (فلسطينى وكانت تهدف إلى قلب نظام الحكم وهى أول تشكيل يعتنق أفراده الجهاد، وقد اصطدمت بالسلطة في عهد الرئيس السادات (أنظر: وثائق تنظيمات الغضب الإسلامي في السبعينات عرض ونقد و دراسة د/ رفعت سيد أحمد صـ ١٣٩، والإسلام السياسى في مصر من حركة الإصلاح د/ هالة مصطفي صـ ٨٤.

(٣) ظهرت عام ١٩٧٦ م، وأهم قادتها: عبد السلام فرج – عبود الزمر، وغيرهما وأهم إصداراتها (ميثاق العمل – الفريضة الغائبة) أنظر: وثائق تنتظيمات الغضب الإسلامي في السبعينات صـ ١٢٥، ١٤٨ وأنظر الإسلام السياسي في مصر صـ ١٤٩، ١٥٠.

(٤) جماعة الشبان المسلمين " أسست عام ١٩٢٧ م في القاهرة على يد جماعة من العلماء، ومنهم محب الدين الخطيب، ومن أهدافها بث الأداب الإسلامية والأخلاق الفاضلة، السعي لإثارة الأفكار بالمعارف بطريقة تناسب روح العصر، العمل على توحيد الصف الإسلامي وغير ذلك، ينظر: الإخوان المسلمون د/ ريتشارد ميتشل – ترجمة عبد السلام رضوان – مكتبة مدبولى بالقاهرة صـ ٢٥ ط٢ ١٩٨٥، مذكرات الدعوة والداعية – للإمام: حسن البنا – دار التوزيع والنشر الإسلامية

– بتوليه منصب رئيس المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين العالمية)[1] وجماعة الأخوان المسلمين[2].

وفي هذه الفترة كان الدكتور أحمد قد تخرج في كلية أصول الدين وحصل على رسالة الدكتوراه في الحديث وعلومه سنة (١٩٧٣ م)، وكانت له مشاركة فعالة في مجريات الأحداث، وذلك من خلال محاضرات في الجامعة، ومن خلال خطبة وأحاديثه والندوات والمؤتمرات التى كان يشارك فيها.

وكان فضيلته يرد على، فكر بعض الجماعات المتطرفة أو المتشددة في أمور الدين، من خلال الندوات التى كانت تعقد تحت عنوان " ندوة للرأى " وغيرها، وكانت له كتب ومقالات تبين منهج الإسلام في اعتداله ووسطيته[3].

صـ ٨١.

(١) السيرة الذاتية للدكتور أحمد عمر هاشم صـ ١٠.

(٢) تأسست على يد الشهيد / حسن البنا، بمدينة الإسماعيلية في شوال ١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م، ومن أهدافها: تكوين الفرد المسلم، تكوين الأسرة المسلمة، تكوين الحكومة المسلمة، وحدة الوطن الإسلامي، تبليغ الدعوة على كافة الناس، ينظر (دراسات في تاريخ مصر السياسى والاقتصادي والاجتماعي د/ محمود متولى – ط الأولى / ١٩٨٥ م دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة صـ ٧ وما بعدها)، الحركة السياسية في مصر – طارق البشرى (١٩٤٥ م – ١٩٥٢ م) دار الشروق ط الثانية – ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م صـ ٤٣ وما بعدها) صفحات من التاريخ حصاد العمر / صلاح شادى ط الثالثة / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م الزهراء للإعلام العربي -) – الإخوان المسلمون ومدرسة حسن البنا د/ رؤوف شلبى صـ ٣٤٩ دار الأنصار بالقاهرة)، (محمد التلمسانى – المهلم الموهوب حسن البنا – دار النصر للطباعة الإسلامية).

(٣) من كتبه في ذلك: منهج الإسلام في العقيدة والعبارة والأخلاق ط نهضة مصر ١٩٩٧ والدعوة الإسلامية منهجها ومعالمها – نشر دار غريب، وغيرها (١) ومن مقالاته مقال بعنوان (رسالة

وإذا كانت حرب أكتوبر قد أطلقت الحريات المقيدة، والأيدى المكبلة، فإن الصحافة المصرية قد أخذت حقها بإعلان الرئيس الراحل " محمد أنور السادات " حرية الصحافة. وكان للأقلام الصادقة دور بارز في التعريف بالإسلام ونشر مبادئه، وشارك الدكتور/ أحمد بقلمه ولسانه في الدفاع عن القرآن ولسنة، ونشر تعاليم الإسلام، واختير فضيلته عضو المجلس الأعلى للصحافة بالتعيين بقرار جمهوري[1].

وإذا كان الغزو العسكري قد رحل عنا فإن الغزو الفكرى والثقافى لا زال مهيمناً على البلاد العربية والإسلامية، فاتجهت مخططاتهم لضرب الإسلام ومحوه من الوجود والعمل على تشويش الفكر الإسلامي وتخريب عقول الشباب وإفساد عقيدة المسلمين بأفكار هدامة، ومذاهب خاطئة، وإثارة بعض القضايا الفرعية التى تصرف المسلمين عن واقعهم ولا زال العلماء يتصدون لهذه الأمور، ويقفون بالمرصاد لكل من يحاول التطاول على الإسلام، فهم حراس العقيدة، وهم جند الله (وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ)[2]، ولا تزال رقعة الإسلام تتزايد، والصحوة الإسلامية تندفع للإمام.

الدعاه في مواجهة التحديات) منبر الإسلام العدد (٢) السنة ٦٢ صفر ١٤٢٤ هـ/ إبريل ٢٠٠٣ م ومقال بعنوان (دعوة الإسلام إلى الوحدة) – الأزهر جـ١ السنة ٧٤ المحرم ١٤٢٢ هـ/ إبريل ٢٠٠١.

(١) السيرة الذاتية للدكتور أحمد عمر هاشم صـ ١٠.

(٢) سورة الصافات. الآية (١٧٣).

المبحث الثالث

الحالة الإعلامية

هي " تلك الحياة التي ميزت القرن العشرين على وجه الخصوص وسمي بسببها عصر السرعة، وذلك نتيجة للتطور الهائل الذي طرأ على ميدان الاتصال السلكي واللاسلكي، بحيث صار ممكناً أن يجلس المرء إلى جهاز من أجهزة الإذاعتين المسموعة والمرئية ليقف على حقائق هذا العالم وهو جالس في مكانه.

ولأن الغرب هو الصانع الأول للنظام الإعلامي، فإنه أكثر المدركين لأهمية الحياة الإعلامية، لأن الإعلام هو الذي يبني العقول والثقافات ويؤثر بصورة كبيرة في توجيه الرأي العام ؛ لذا فإن الغرب يسعى دائماً إلى الاحتفاظ لنفسه بامتياز التقدم والتحكم في الحياة الإعلامية وكان لهذا الأمر أن دعا دول العالم الثالث لمحاولات عديدة للانتقاض على تلك الهيمنة ويطالبون بوضع معايير أخلاقية للحياة الإعلامية. وذلك حتى لا يظل الغرب هو المصدر لكل الأفكار والآراء والمعلومات إلى بلدان العالم الثالث"[1].

وللإعلام أثره البالغ في توجيه حياة الناس وفي سلوكهم، فهو كما يقول شيخنا الدكتور أحمد: " يتضمن تحقيق العلم بأنباء أو ثقافة أو فن أو غير ذلك، لدى بعض الناس أو البيئات أو الدول، فهو ينقل هذه الأمور من أناس إلى غيرهم أو من بيئة إلى أخرى، بوسائله المتعددة "[2].

وكان الإعلام قديماً يقتصر على مشافهة الجمهور والمستمعين مباشرة أو من خلال

---

(١) النظام الإعلامى الجديد، مصطفى المصمودى صـ ٥ ـ ١٢.سلسلة عالم المعرفة ـ الكويت.العدد ٩٤ أكتوبر ١٩٨٥م.

(٢) الإعلام الديني في مناهضة الظواهر السلبية – د / أحمد عمر هاشم صـ ٩ دار المعارف.

الرسائل والكتب، إلا أن هذا العصر قد شهد تطوراً كبيراً في المجال الإعلامي، وأصبحت الوسائل الإعلامية تتمثل في عدة أمور هي:

١- الوسائل المرئية.

٢- الوسائل المسموعة.

٣- الوسائل المقروءة

[١] الوسائل المرئية:

ويقصد بها في هذا العصر الوسائل التي تنقل الحدث أو الأخبار إلى المشاهد بالصوت والصورة، وتشمل التلفاز السينما والمسرح.

وهذه الوسائل لا تعتمد على ثقافة المشاهد، فهي تتعامل مع الجميع سواء المتعلمين أو غيرهم، ويعد التلفاز أهم هذه الوسائل ؛ لأنه جهاز وصل إلى معظم البيوت – إن لم تكن كلها –، وحوله تلتف الأسرة، وهو من الخطورة بمكان، وتكمن خطورته في تعلق الأطفال والنشء الصغير، وتقليد ومحاكاة كل ما يرونه بداخله.

" ولكي يتأكد المرء من خطورة هذا الجهاز فعليه أن يلاحظ عدد المترددين على المساجد أثناء إذاعة المسلسلات التليفزيونية، وسيدرك إلى أي مدى أثر هذا الجهاز على سلوك المجتمع المسلم، وهذه من الآثار المباشرة للتليفزيون أخذ المسلم بعيداً عن بيت الله في أوقات الصلاة، وتبقى الآثار الغير مباشرة وهي الآثار الفكرية والسلوكية"[(١)].

وكانت هذه الوسائل في فترة الأربعينات وما بعدها من القرن الماضي تقدم أعمالاً تدعو إلى التحلل من القيم والعادات التي كانت منتشرة بين الناس وخصوصاً القيم الإسلامية، فظهرت المتبرجات وكشفت أجزاء كثيرة من جسم المرأة بصورة تنذر بالخطر.

(١) أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية الأستاذ محمد أبو زيد الفقي صـ ١٩٠ – دار الوفاء.

الأمر الذي دعا بعض المفكرين لمهاجمة هذا الجهاز وما يقدمه ؟، فظهر فريق آخر يدافع عن التلفاز، ويبرر له بأنه عبارة عن نقل أفكار الكتاب والمؤلفين، فيقول أحدهم: " وفي الحقيقة أن الاتهامات التي يتعرض لها التليفزيون بسبب الإثارة والسوقية التي تحتويها آداب الأكشاك التي يقدمها في مسلسلاته، تتعامل دوماً من حقيقة أن هذه الآداب لم تكن يوماً منتجاً تليفزيونياً خاصاً، إنها ببساطة ترجمة هذه الآداب إلى عمل تليفزيوني"(١).

وهو الأمر الذي دفع شيخنا الدكتور أحمد إلى المطالبة بالإكثار من الإعلام الديني، فيقول:

"وتزداد مسئولية الإعلام الديني في عصرنا الحاضر الذي يشهد بثا إعلامياً وافداً يخترق الأجواء والبيوت ويتدفق بصورة كبرى تستوجب على رجال الإعلام وعلى الدعاة والمفكرين أن يواجهوا ذلك بتحصين أمتهم بالقيم والسمو بالمادة الإعلامية الجادة والقوية الجاذبة للمشاهدين والمستمعين والقراء"(٢).

ويمكن استغلال هذا الجهاز في مناهضة الظواهر السلبية داخل المجتمع، بدلاً من أن يكون سبباً في نشر وتعليم العادات السيئة مثل الكذب والعنف وغيرها، وفي ذلك يقول الدكتور أحمد: " وينبغي في رجل الإعلام أن يعد إعداداً دينياً بحيث يكون ذا ضمير ديني فلا يذيع أو ينشر خبراً كاذباً، ولا يرمى بعض الناس بالكذب فقد قال الله تعالى:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)"(٣).

---

(١) مقدمة في دراسة وسائل الإعلام وأساليب الاتصال د / حمدي حسن صـ ٦٠ دار الفكر العربى ١٩٨٧م.

(٢) الإعلام الديني في مناهضة الظواهر السلبية د / أحمد عمر هاشم صـ٥.

(٣) سورة الأحزاب آية (٧٠، ٧١).

وسمة الكذب هي سمة غير المؤمنين قال تعالى: (إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ)[1].

ومن أخطر الرذائل التي يتسم بها رجل الإعلام (الخبر الكاذب) ومحاولة إثارة الناس دون وجه حق..."[2].

وعن المادة الإعلامية التي تقدم إلى الجمهور من خلال البرامج والمسلسلات يقول شيخنا " ولابد أن تشتمل المادة على تعاليم الإسلام ومبادئه، وعلى مواقعه وبطولاته، وتقدم رجال الإسلام وأبطاله وأئمته والرواد من أبنائه حتى تتعرف الأجيال على تاريخها، وعلى أبناء أمتها، فلا تكون جاهلة بأسماء الصحابة والتابعين وأبطال المواقع الإسلامية الذين يجدر التأسي بهم، بينما يعرفون ممثلون أجانب ونماذج من دعاة التحلل والشر"[3].

هذا وقد طالب الدكتور أحمد – بصفته عضواً في اللجنة الدينية بمجلس الشعب – بإنشاء قناة تليفزيونية إسلامية، تناهض الظواهر السلبية، وتعرض الإسلام في ثوبه الحقيقي والمساير لروح العصر.

[٢] الوسائل المسموعة:

ويقصد بها جهاز " الراديو "، وهو جهاز يقوم بنقل البرامج الإذاعية عبر الأثير ويتعلق به الكثير من الناس ؛ لأن " الإذاعة في العصر الحديث تقوم بتشكيل ذهن ووجدان المجتمع والأفراد، وتغير من عادات وتقاليد المجتمع بحسب رغبة المهيمنين عليها، وهي بما تقدم للناس من فكر علماني موجه تعتبر من العقبات التي تقف في طريق الدعوة الإسلامية في العصر الحديث"[4].

---

(١) سورة النحل من الآية (١٠٥).

(٢) الإعلام الديني في مناهضة الظواهر السلبية د / أحمد عمر هاشم صـ ١٢.

(٣) السابق صـ ١٩.

(٤) أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية الأستاذ الدكتور / محمد أبو زيد صـ

وهنا تكمن أهمية الراديو وخطورته في التأثير على سلوك الأفراد وعقولهم، وتزداد خطورته في أنه:" ليس من الضروري أن يكون المستمع إلى الراديو متعلماً، وفي أغلب الأحوال يكون مركز الراديو وقدرته على الإقناع وتصديق الجمهور له كبيرة، خاصة في الثقافات التي ينتشر فيها الاتصال الشخصي، حيث نجد احترام الكلمة المنطوقة أكبر من الكلمة المكتوبة"(١).

وبذلك فإن وسائل الإعلام المسموعة تشكل خطراً كبيراً على الإسلام والمسلمين، من خلال ما تعرضه هذه الوسائل من مادة إعلامية موجهة، هدفها اقتلاع العادات الإسلامية بطريق مباشر وغير مباشر، مستخدمة كافة السبل لتحقيق ذلك.

" وإذا أرادت الإذاعة أن ترسى عادة اجتماعية معينة، أو تغير عادة أخرى لا تفعل ذلك بالطريق المباشر كما يفعل العلماء والوعاظ والخطباء ولكنها تلجأ إلى وسائل كثيرة، منها الأغنية والدراما والأخبار المقصودة، وبهذه الوسائل مجتمعة تلح على الفكرة، التي تريد لها البقاء، أو الفكرة التي تريد أن تغيرها"(٢).

ومع كثرة الإلحاح ومرور الوقت تلاقي هذه الفكرة استجابة من الناس وقبولاً وإن كانت مرفوضة قبل ذلك.

وقد استطاع القائمون على الإذاعة بصفة عامة والمسموعة بوجه خاص أن يؤثروا تأثيراً كبيراً على فكر ووجدان المستمع، من خلال وسائلهم المختلفة.

"والمستمع في العصر الحديث يقبل أخطر الأفكار على دينه ودنياه من خلال النغم

١٨٨، ١٨٩.

(١) نظم الاتصال ـ الإعلام فى الدول النامية ـ د / جيهان أحمد رشتى صـ ١٤١. دار الفكر العربى ١٩٧٢م.

(٢) أثر الظروف النفسية في سلوك الداعية الأستاذ الدكتور محمد أبو زيد صـ١٨٩.

العذب والصوت الشجي، والموقف التمثيلي المسلي والمضحك أحياناً.... ولا يغير من هذا وجود برامج دينية وفقرات قرآنية في أوقات ثابتة، نظراً للمساحة الزمنية الضيقة المخصصة لهذه البرامج والتي تجعلها لا تلبي حاجة المجتمع للثقافة الدينية"[1].

ولم يألُ العلماء جهداً في خدمة دين الله – تعالى – وحماية الفكر الإسلامي من الفكر الدخيل، فهبوا يدافعون مستخدمين نفس سلاح عدوهم، وكان لإذاعة القرآن الكريم دور بارز في إنارة العقول وهداية القلوب الحائرة.

وقد ازداد نشاطها في الفترة الأخيرة، فأصبحت تعمل على مدار الأربع والعشرين ساعة، تنشر خلالها قيم الإسلام وتعاليمه وأحكامه، وتبصر المسلم بما يهمه من أمور دينه ودنياه، ولذلك فهي مقصد للعلماء، وزاد للدعاة، وهداية لعامة المسلمين وخاصتهم.

وكان شيخنا الدكتور أحمد واحداً من العلماء الذين تستضيء بعلمهم إذاعة القرآن الكريم، وله مشاركات عديدة في لقاءات مختلفة وبرامج متنوعة، ولفضيلته حديث ثابت يذاع يومياً عبر إذاعة القرآن الكريم كل صباح من خلال برنامج " في ظلال الهدي النبوي".

[٣] الوسائل المقروءة:

تتعدد هذه الوسائل في العصر الحاضر إلى:

الكتب، والمجلات، والصحف

وهذه الوسائل لها أهمية قصوى عند أهل العلم والمثقفين ؛ فهي تمدهم بالمعلومات وتزود بالثقافة.

وتعد " الكتب والمطبوعات من الأشياء المهمة التي تساهم في تشكيل الشخصية العامة للوطن، وهي تنتقل من المدينة إلى الريف، وهي ليست وجبة فكرية سريعة

(١) أثر الظروف النفسية في سلوك الداعية الأستاذ الدكتور محمد أبو زيد صـ١٨٩.

الاستهلاك مثلما يقدم في الإذاعة المرئية والمسموعة، بل يظل أثرها باقٍ فترة طويلة، وأحياناً يتجدد هذا الأثر بالرجوع إليها مرة بعد مرة، ومن هنا كان لها أثر كبير في تشكيل الشخصية العامة"[1].

وقد ظهرت في مصر في النصف الأول من القرن العشرين كتب ومطبوعات تدعو إلى العلمانية، لاسيما بعد سقوط الخلافة[2] الإسلامية، وسيطرة الاستعمار الأجنبي على البلاد.

ومنها على سبيل المثال مؤلفات " سلامة موسى "، الذي يتحدث عن الحرية الجنسية التي يتمناها للشباب قائلاً:

" ثم يخرج الشباب إلى مجتمع قد انفصل فيه الجنسان، بل أن هناك شباباً مصريين قد بلغوا العشرين أو أكثر، ولم تتح لهم هذه الحياة الشرقية التي يعيشون في بيئتها أن يقعدوا إلى آنسة أو يسايروها في الطريق، أو يشتركوا معها في الحديث، فهم في وحشة اجتماعية لا يعرفون كيف يعاملون امرأة، بل عندما يسأل أحدهم عن عقيدته في المرأة يجيب بسخافات نشأت في ذهنه لأنه لم يعامل قط امرأة"[3].

وسلامة موسى هنا يتطاول على العادات والأفكار الإسلامية التي تربى عليها الشباب المسلم في بيئتهم ويصفها بأنها " سخافات " وما سخافات إلا دعوته، ويعد المطبقين لحديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: " لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان

---

(١) السابق صـ ١٩٠، ١٩١.

(٢) وقد سقطت الخلافة الإسلامية في ٢٦ رجب ١٣١٤ هـ/ ٣ مارس ١٩٠٢٤ م الإسلام والخلافة في العصر الحديث د / محمد ضياء الدين الديب صـ ٣٤١ دار التراث – القاهرة.

(٣) أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية السيد الأستاذ الدكتور / محمد أبو زيد صـ ١٩١.

ثالثهما"[1] جاهلين فقه التعامل مع المرأة، وهي دعوة علمانية صريحة إلى التحلل والفجور والاختلاط السافر تحت اسم "معرفة التعامل مع المرأة" وإزالة الوحشة والفوارق الاجتماعية بين الجنسين.

ولعل في النموذج ما يبين بوضوح مدى استقلال الكتاب المطبوع لنشر الأفكار العلمانية في المجتمع.

وليس معنى هذا أنه لم تكن توجد كتب إسلامية تناهض الكتابات العلمانية بل كانت موجودة، وهناك الكتاب الإسلاميين أصحاب الأقلام الصادقة، غير أنها لم تحظ بنفس القدر من الانتشار والتأثير.

هذا وإذا كان الكتاب المطبوع من الأهمية بمكان فإن الصحف والمجلات لم تقل عنه أثراءوخطورة إلا أن الأمر الذي يحجم نشاطها هو أنها لا تصل إلا للمتعلمين فقط، ولا يقرؤها في الغالب إلا المثقف.

وقد استغلها القائمون بالعمل الإسلامي في نشر الثقافة الإسلامية لمواجهة تيار العلمانية العاتي، فأصدرت كثير من الصحف والمجلات الدينية.

كمجلة الأزهر[2]، ومنبر الإسلام[3]، والتوحيد[4]، والمجاهد[5]، والتصوف[1]

---

(١) سنن الترمذى كتاب الرضاع ـ باب كراهية الدخول على المغيبات جـ٣ صـ٤٧٤.

(٢) مجلة شهرية جامعة تأسست عام ١٣٤٩ هـ/ ١٩٣١ م وصدر العدد الأول في المحرم ١٣٤٩ هـ ويصدرها مجمع البحوث الإسلامية في مطلع مكل شهر عربي.

(٣) مجلة شهرية تصدرها وزارة الأوقاف – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، وتأسست منذ (٦٥) عاماً.

(٤) مجلة إسلامية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية، وتأسست منذ (٣٥)عاماً.

(٥) مجلة شهرية إسلامية تصدرها إدارة الشئون المعنوية للقوات المسلحة وتأسست منذ (٢٦)

وجريدة اللواء الإسلامي[٢]، وعقيدتي[٣]، وصوت الأزهر[٤]، وغيرها.

وقد قاوم الدكتور أحمد مظاهر الفساد الإعلامي الذي تعرضه الوسائل المقروءة فندد بالظواهر السلبية التي تتناولها بعض الكتب أو الصحف أو المجلات، كعرض صور خليعة لنساء فاتنات عاريات وبين أنها صور لا فائدة منها ولا مصلحة في نشرها لأي قارئ إلا ما يصيب الشباب من فتنة.

كما قاوم ظاهرة الخوض في أعراض الناس والتشهير بهم بتجريحهم والنيل من كراماتهم لأي غرض من الأغراض فيقول:

" ومن الظواهر السلبية ما تتناوله الصحف والمجلات لأعراض الناس دون وازع لأي رادع من دين أو خلق أو قانون، حتى وظفت حرية الصحافة في غير ما وضعت له، واستغلت أسوأ استغلال في تجريح أعراض الناس والنيل من كرامتهم، وتصفية الحسابات، ومحاولة ابتزاز بعض المسئولين، ابتغاء المصالح الشخصية حينا، و ابتغاء الهوى والأغراض المشبوهة أحياناً أخرى"[٥].

كما دعا الدكتور أحمد إلى ضرورة أن يركز الإعلام الإسلامي على قضية الوحدة الإسلامية، وأن تكون هى القضية الأولى في المادة الإعلامية لأن هذا الاتجاه تفرضه علينا التحديات المعاصرة فيقول:

عاماً.

(١) مجلة إسلامية يصدرها المجلس الأعلى للطرق الصوفية، وتأسست منذ (٢٧) عاماً.

(٢) جريدة إسلامية أسبوعية تصدر كل "خميس" ويصدرها الحزب الوطني الديمقراطي.

(٣) جريدة إسلامية أسبوعية تصدر كل " ثلاثاء".

(٤) جريدة إسلامية وتصدر يوم الجمعة من كل أسبوع وهي يومية تصدر أسبوعياً مؤقتاً عن الأزهر جامعاً وجامعة.

(٥) الإعلام الديني في مناهضة الظواهر السلبية د / أحمد عمر هاشم صـ ٥٥.

" إن من أهم ما ينهض به الإعلام الإسلامي مسموعاً ومرئياً ومقروءاً، أن يدعو إلى الوحدة لأن أمتنا في هذه المرحلة تشهد تحديات، تستوجب عليها أن تكون يداً واحدة وأن تعتصم بحبل ربها مستجيبة للأمر الرباني: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)[1].

والإعلام بكل قطاعاته وقنواته وصحفه ومجلاته قادر على تشكيل الرأي العام، وصياغة وجدان الأمة وتوحيد الصفوف، بالدعوة المخلصة إلى تضافر الجهود والبعد عن الفرقة، وأسباب الخلافات، لأن توحيد الأمة لابد أن يسبقه تصفية أسباب الخلاف وتنقية الأجواء، حيث يتم رأب الصدع وجمع الشمل على أساس متين... ويمكن للإعلام الإسلامي أن يقوم بدوراً فاعلاً في هذا الصدد من خلال ما ينشر وما يبث من دعوات مخلصة تجمع ولا تفرق..."[2].

هذا على الجانب النظري، وأما على الجانب العملي فقد ألف الدكتور أحمد مؤلفات كثيرة فى الحديث وعلومه وفى الدعوة الإسلامية والقضايا الإسلامية المختلفة.

كما ساهم بالكتابة في كثير من الصحف والمجلات الإسلامية، وله مقالات عديدة في هذا الصدد.

---

(١) سورة آل عمران من الآية (١٠٣).

(٢) فقه الدعوة ولإعلام د / عمارة نجيب صـ ١٩٢ ط مكتبة المعارف بالرياض ١٩٨٧م.